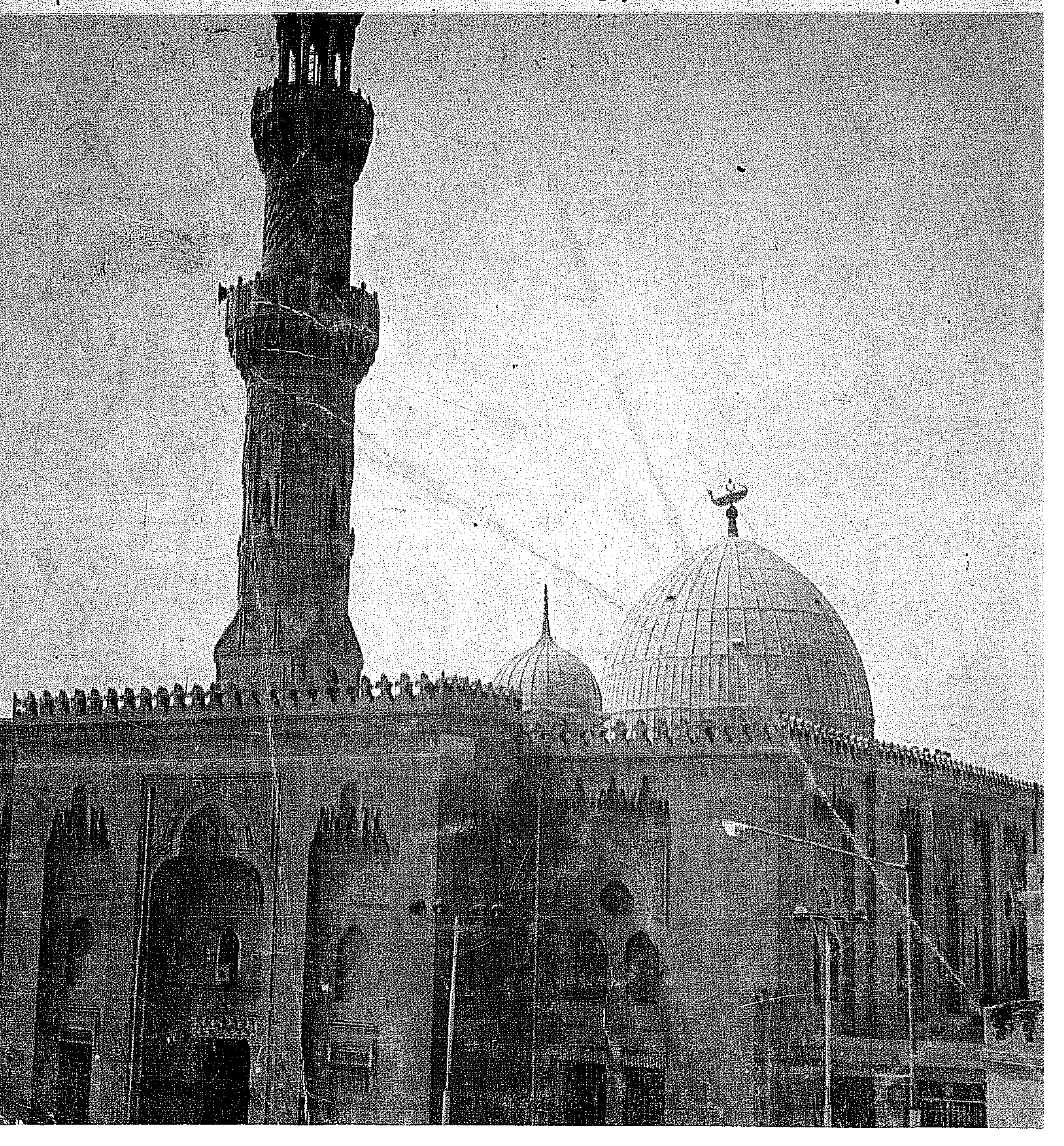
الوعي الإسلامي

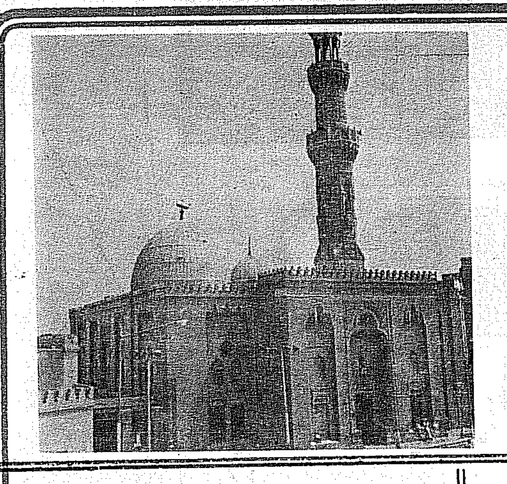
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ــ العدد ٨٠ ــ شعبان سنة ١٣٩١ هـ ــ ٢١ سبتمبر (أيلول) ــ ١٩٧١م





قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة للمسجد الاموى بدمشق ، وقد رافقه فى هذه الزيارة رئيس بعثة الشرف ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية فى الجمهورية العربية السورية عبد الحليم خدام . ويبدو فى الصورة الشيخ عبد الله الجابر المستشار الخاص لسمو الامير المعظم وبعض المرافقين.



مسجد الامام الشافعي بالقاهرة . انشاه الملك الكامل المظفر سنة ٦٠٨ هـ وجدد سنة ١٣٠٩ هـ ، وتبدو في الصورة قبته الضخمة ومنارته الشاهقة ، وهي مبنية على الطراز المملوكي .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الثمانون

شعبان سنة ١٣٩١ هـ

٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

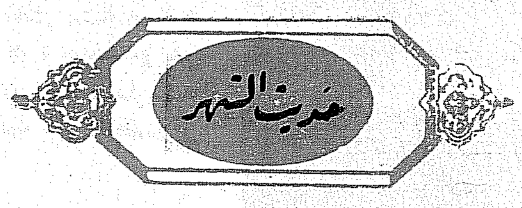
الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الأفراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



إزالة آثار العدوان

العدوان الذى نعرض له فى هذا الحديث ، وننبه الى آثاره ونطالب بحشد القوى المتخصصة لازالته — عدوان اسرائيلى قديم ، لا يقل خطرا عن العدوان الاسرائيلى المعاصر الذى تستنفر له الآن جميع القوى العربية والاسلامية .

واذا كان اختيار الوقت المناسب للقيام بعمل من الأعمال شرطا اساسيا فى انجاحه فاننا نرى ان هذا الوقت الذى يبلغ فيه شعور المسلم — كل مسلم — بمرارة الحقد اليهودى عليه منتهاه هو أنسب الأوقات واكثرها ملاءمة لاستثارة الجهود الاسلامية لازالة آثار العدوان الذى نلفت النظر اليه فى هذه السطور .

كان اليهود أعلم أهل الكتاب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أولى الناس بأن يؤمنوا به لأنه جاء مصدقا لما معهم من التوراة ، وموافقا لكل ما يعرفونه من صفاته التى وردت فيها ، وفى الوقت نفسه كانت توحى اليهم اثرتهم وانانيتهم انهم ابناء الله واحباؤه وشعبه المختار فى الأرض ، وان الأنبياء والرسل لا يكونون الا منهم ، فلما ارسل الله محمدا عربيا لا يهوديا غلبت عليهم طبيعة الحقد عليه والعداوة لدينه ، وملأ نفوسهم الحسد والغيرة ، فجعلوا يشككون الناس فى نبوته ، وطوعوا توراتهم لأهوائهم وشهواتهم ، فحرفوا كل ما جاء فيها عنه ، وغيروا كل ما يشير منها اليه أو يدل عليه ، واتخذوا كل وسيلة دنيئة وكل حيلة خبيثة حتى لا يظهر دين غير دينهم .

وكان من اخزاء الله لهم انه سبحانه فضح اسرارهم ، واظهر زيفهم على يد بعض احبارهم الذين شرح الله صدرهم للاسلام ، فدخلوا فيه مخلصين .

وعداوة اليهود للاسلام ، وكراهيتهم للمسلمين ، ومحاولاتهم لصد الناس عن دين الله ، ومؤامراتهم للتشكيك فيه وزعزعة الثقة والايمان فى قلوب المؤمنين ظاهرة واضحة منذ فجر الاسلام ، وكان جديرا بالمسلمين على ممر العصور ان يضعوها نصب أعينهم ، وان يكون تعاملهم مع بنى اسرائيل ، وتلقيهم لما ينقل عنهم بمنتهى الحذر والحيطة ، وخاصة بعد ان

تنزلت الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم تنبه الى أساليبهم الخفية فى الكيد للاسلام والمسلمين « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون » « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم انه الحق » « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » والمراد بأهل الكتاب فى الآيات اليهود ، والمراد بالطائفة جماعة منهم تحدثوا فيما بينهم ، وقالوا : أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار ، واكفروا آخره فانه أجدر أن يرجعوا عن دينهم . الى هذا المدى بلغت حملة التشكيك التى خطط لها اليهود لصد الناس عن الاسلام .

ان اليهود أجرأ الناس على وحي الله ، واقدرهم على تحريف كتبه بما يتفق مع طبيعتهم النكدة ، ولم يكن هذا مستورا عن المؤمنين حتى يحذروا فى تصديقهم ، والأخذ عنهم ، ونقل مفترياتهم . . لقد بلغ من أمرهم فى الجراة على الوحى انهم حاولوا أن يفتنوا الرسول نفسه ، وان يؤثروا عليه، ويجروه الى التحايل على تعاليم الله ، فقد روى أن زعماء اليهود قالوا لبعضهم : اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد انك قد عرفت أنا احبار يهود ، واشرافهم وسادتهم ، وانا ان اتبعناك اتبعتك اليهود ، ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، فنحاكمهم اليك ، فتقضى لنا عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

هذه الصورة الحقيقية الواضحة لليهود . لعداوتهم للاسلام ، وتآمرهم عليه ، ومهارتهم فى الدس والتحريف ــ لم تمنع بعض المسلمين السابقين من النقل عنهم والأخذ منهم عند تفسير كتاب الله ، فامتلأت كتب التفسير التى الفوها بالغث والسمين والحق والباطل ، والصحيح والمزيف . امتلأت بالاسرائيليات ، عن هذا الطريق استطاع اليهود أن يحققوا نواياهم السيئة فى تشويه الفكر الاسلامى وتضليل العامة .

وهذه نقول ونماذج من الخرافات والقصص الاسرائيلى الذى شغف به نفر من المفسرين ، فضمنوها تفاسيرهم ، وهى آثار فكرية مضللة وفدت على الثقافة الاسلامية ، وخدع بها عامة المسلمين ، واستغلها خصوم الاسلام من المستشرقين .

١ ــ قال مقاتل بن سليمان عند تفسير قوله تعالى : « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها : اما مكة فتخربها الحبشة ، وتهلك المدينة بالجوع ، والبصرة بالغرق ، والكوفة بالترك ، والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكر بلدا بلدا .

وروى عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب

ارمينية ، وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ، ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ، ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة ، فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بنى هاشم ، وخراب الأندلس من قبل الزنج ، وخراب افريقية من قبل الأندلس ، وخراب مصر من انقطاع النيل ، وخراب العراق من الجوع ، وخراب الكوفة من قبل عدو يحصرهم ويمنعهم من الشراب من الفرات ، وخراب البصرة من قبل الفرق ، وخراب الأبلة عدو يحصرهم برا وبحرا ، وخراب الرى من الديلم ، وخراب خراسان من قبل التبت ، وخراب التبت من قبل الصين ، وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع .

٢ ــ والامام النسفى مع فضله وعلمه وتحقيقه لم يسلم تفسيره من هذه الاسرائيليات ، فهو فى تفسير قوله تعالى : « وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير » يقول : روى انه صاحت فاختة فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : يقول كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : يقول استغفروا الله يا مذنبون ، وصاح خطاف فقال : يقول قدموا خيرا تجدوه ، وصاحت رخمة ، فقال : تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه ، وصاح قمرى فأخبر انه يقول سبحان ربى الأعلى . . واخذ يعدد الحيوانات والطيور ويترجم أصواتها .

٣ ــ وقد تجاوزت الاسرائيليات هذه الترهات والسخافات الى التطاول على مقامات النبوات وانك لتجد هذا التطاول الفاضح مسطورا فى كثير من الكتب عند تفسير قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط » وعند قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » .

ومع ان كثيرا من ائمة الفكر الاسلامى فى العصور السابقة تنبهوا الى هذه الاسرائيليات فان أحدا من المسلمين لم ينهض لتطهير الكتب منها وازالة آثار هذا العدوان الاسرائيلى عليها .

يتحدث العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كيفية تسرب هذه الاسرائيليات الى المسلمين ، واسباب ــ استكثارهم منها فيقول عند الكلام على التفسير بالمنقول : وقد جمع المتقدمون فى ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمردود ،والسبب فى ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شىء مما تتشوق اليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة ، واسرار الوجود فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ، واهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية ، فلما اسلموا ابقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام

الشرعية التى يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك .. فامتلأت كتب التفسير من المنقولات عنهم ، وفى أمثال هذه الاغراض أخبار موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا من أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك . الا انهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ » .

ان تصحيح كتب التفسير وتنقيتها مما أصابها من الاسرائيليات المخرفة واجب تجب المسارعة الى النهوض به ولا ادرى كيف تورط الأولون فى هذا النقل ، ولا كيف سكت الآخرون عنه الى هذا اليوم مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى المسلمين أن يأخذوا شيئا عن أهل الكتاب لا يتفق مع أصول دين الله وأحكامه وآدابه فقد روى أحمد عن جابر بن عبد اللـه أن عمر بن الخطاب أتى النبى بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى ، فغضب وقال : أمهوكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده : لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى ، وفى رواية : لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، وبباطل فتصدقوا به .

وروى البخارى عن ابن عباس انه قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء ، وكتابكم الذى انزل على رسول الله أحدث الكتب تقرءونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى انزل اليكم .

والعدوان الذى ننبه اليه فى هذا الحديث هو عدوان اليهود على الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية .. هو المفتريات التى دسها اليهود على بعض المفسرين لكتاب الله . هو الاسرائيليات التى حفلت بها هذه الكتب كلون كلب أهل الكهف ، والبعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ووصف سفينة نوح واسم الغلام الذى قتله الخضر ، ونوع الشجرة التى اكل منها آدم وزوجه ، والحيوان الذى تقمصه الشيطان فدخل الجنة ووسوس لهما وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم .. الخ .

وازالة آثار هذا العدوان تكون بتوفر جماعة من أهل العلم على هذه الكتب وتصفيتها مما علق بها .

ان واجب المسلمين الى تصحيح هذا التراث لا يقل أهمية عن احياء التراث ، وازالة آثار هذا العدوان لا تكلف المسلمين دما ولا سلاحا وانما تكلفهم جهدا وصبرا .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلي



ومكانة الاجتهاد فيه..

لعالم إسلامي كبير

ما هى حدود التشريع فى الاسلام وما هى مكانة الاجتهاد فيه ؟ اذا اردنا معرفة ذلك ، فلا بد أن نكون ، قبل كل شىء ، على ذكر بين من أمرين :

اولهما : أن الحاكمية فى الاسلام مختصة بالله وحده ، لا يشاركه ولا ينازعه فيها غيره ، ذلك بأن التوحيد ، كما فسره القرآن يستلزم أن يكون الله وحده هو المعبود بالمعنى الدينى المعروف ، ليس ذلك فحسب ، بل يستلزم أن يكون الله وحده هو الحاكم المطاع ، والآمر والناهى ، والشارع بالمعنى السياسى والقانونى أيضا ، وهذه الحاكميه القانونية قد ابدا القرآن واعاد فى بيانها بمثل القوة والجزم الذى يبين به عقيدة الالوهية الدينية ، واكد كل التأكيد أن كلا من هاتين المنزلتين من المقتضيات اللازمة لالوهية الله تعالى لا يجوز فصلها عن الأخرى بحال من الاحوال وقرر بما لا مجال فيه للارتياب والشك أن انكارها انكار لالوهية الله ، ثم ان القرآن لم يترك اى منزع لشبهة أن يراد بالقانون الالهى قانون الطبيعة والفطرة ، وجعل من واجب الانسان ، اذ يدعوه الى التوحيد ، أن يعترف فى حياته الخلقية والاجتماعية بذلك القانون الذى أنزله الله على أنبيائه ورسله ، بل ان الايمان بهذا القانون ، وبتجرد الانسان عن استقلال نفسه وحرية ذاته ازاءه هو الذى يسميه القرآن بالاسلام ويأبى — بأوضح ما يكون من البيان — ان يكون للانسان حق فى

ان يقضي برايه شأنا من شؤون حياته اذا كان قد قضاه الله ورسوله **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** .

وثانيهما : وهو لا يقل في اهميته في الاسلام عن توحيد الاله ـ هو ان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله وخاتم انبيائه ، وهذا ما تخرج به عقيدة توحيد الاله من حيز الفكرة المجردة فتبرز بشكل نظام عملي ويقوم على اساسها بناء نظام الاسلام الشامل للحياة الانسانية ، ذلك بأنه قد اجتمعت بموجب عقيدة الاسلام تعاليم جميع الانبياء السابقين مع زيادة تعاليم مهمة أخرى في تعليم محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده المصدر الموثوق به لهدى الله وتشريعه ، ولن يأتي من الله بعده هدى أو تشريع يحتاج الانسان أن يرجع اليه ، وتعليم محمد صلى الله عليه وسلم هو القانون الاعلى الذى يمثل للناس مرضاة الحاكم الأعلى ، وقد وصل الينا على صورتين :

القرآن : وهو كلام الله لفظا ومعنى ويشتمل على احكامه واوامره ونواهيه.
والسنة : او الاسوة الحسنة لمحمد صلى الله عليه وسلم « وهي التي تبين غاية القرآن وتشرح مقصد نزوله » .

ما كان محمد صلى الله عليه مبلغا لكتاب الله فحسب ، بل كان من وظيفته مع ذلك ان يكون اماما للناس وقائدا وحاكما ومعلما ومرشدا ، يشرح لهم القانون الالهي بقوله وعمله ، ويخبرهم بغايته الحقيقية ويربيهم على مطالبه ومقتضياته ، ويعمل على تشكيلهم في صورة جماعة منظمة ، ويرى العالم كله ، في قالب دولة راشدة مرشدة ، كيف يقوم على مبادىء الاسلام نظام حضارة متكاملة راقية ، وان هذه المهمة التى اضطلع بها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال حياته النبوية (٢٣ سنة متوالية) هي السنة التى باشتراكها واجتماعها مع القرآن يكتمل القانون الاعلى من الحاكم الاعلى لرعيته في الارض ، وان هذا القانون الاعلى هو المعروف (بالشريعة) في المصطلح الاسلامي .

حدود التشريع :

وقد يظن الانسان لأول سماعه بهذه الحقائق الاساسية أن الدولة الاسلامية لا مجال فيها أصلا لتشريع الانسان ، اذ أن الله هو الشارع الوحيد فيها ، ولا وظيفة فيها للمسلمين سوى أن يتبعوا ما جاءهم به الرسول من قانونه ، بيد أن الحقيقة ، ان الاسلام لا ينافي تشريع الانسان وانما يحيطه بسياج من القانون الالهي ويحده بعلوه ، أما ما هي دائرة تشريعه تحت القانون الالهي الاعلى وفي ضمن حدوده ، فهذا ما أريد بيانه في هذه الكلمة متوخيا الايجاز والاختصار .

تفسير الاحكام :

منها ما قد جاء فيه القرآن والسنة بحكم قاطع واضح ، أو وضعا له قاعدة خاصة فليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعي أن يغير في مثل هذه المعاملات والشؤون أحكام الشريعة وقواعدها ، وليس معنى ذلك أنه لا مجال مع هذه

الاحكام لتشريع الانسان ، بل ان دائرة تشريع الانسان فيها ان يعرف أولا بكل دقة ما هى احكام الشريعة فى واقع الامر ويحدد ثانيا مفهوم تلك الاحكام ، ويتبين لأى الحالات والوقائع هى ، وتقرر أخيرا صور تطبيقها على القضايا الطارئة الحاضرة وتفاصيلها الفرعية ان كان فيها المجال ، والذى يجب أن يشخص مع كل ذلك ، هو : أين والى أى حد يجوز للانسان التشريع للاحداث والوقائع الاستثنائية على أن لا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها .

القياس :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم ، ولكن لها أحكام فى امثاله واشباهه فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن تعرف علل الاحكام بدقة تامة وتنفذ فى كل شأن توجد فيه تلك العلل ويستثنى منها كل شأن لا توجد فيه تلك العلل .

الاستنباط :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم صريح ، ولكن جاءت فيه وفى أمثاله بقواعد جامعة او اظهرت مرضاة الشارع عنه ، فيجب العمل على تنميته وترقيته وما هو مبغض عنده يجب العمل على محوه واستئصاله ، فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن يعرف ما جاء فيها من قواعد الشريعة ومرضاة الشارع ، ويوضع فى القضايا العملية الحاضرة من القوانين ما يقوم على هذه القواعد ويحقق مرضاة الشارع .

دائرة التشريع بحرية الراى :

ومنها ما سكتت الشريعة فى بابه سكوتا تاما ، فلا جاءت فيه بحكم صريح ، ولا بهداية فى امثاله وأشباهه حتى يقاس عليها ، فلا معنى لسكوت الشريعة فى مثل هذه الشؤون الا أن الحاكم الاعلى بنفسه قد أجاز الانسان ان يقضيها برأيه ، فالتشريع جائز فيها للانسان بكل حرية على أن يكون موافقا لروح الاسلام وقواعده العامة ، والا تختلف طبيعته عن طبيعة الاسلام الشاملة حتى يلتئم أحسن التئام مع نظام الاسلام للحياة .

الاجتهاد :

وكل هذا العمل التشريعى الذى يحرك نظام الاسلام للقانون ويرقيه حتى يلبى حاجات البشر ويجارى تطورات الزمان ، لا يمكن أن يتم الا بتحقيق علمى وخاص وبذل للقوة الذهنية على صفة غير عادية ، وهو المعروف بالاجتهاد فى المصطلح الاسلامى .

والاجتهاد معناه لغة : بذل الجهد واستنفاده ، والمراد به اصطلاحا بذل الجهد واستنفاده فى استجلاء حكم الاسلام أو مقصوده فى القضية تحت

البحث . وقد يخطىء بعض الناس ويفسرون الاجتهاد بمعنى التمتع بحرية الراى دون ما قيد أو شرط ، على ان كل من له أدنى المام بطبيعة القانون الاسلامى ومزاياه لا يكاد يذهب به سوء الفهم الى أن فيه مجالا لهذا النوع من الاجتهاد لأن القانون الحقيقى فى الاسلام هو القرآن والسنة ، ولا يجوز التشريع فيه للمسلمين الا بشريطة ان يكون مأخوذا من هذا القانون الحقيقى أو فى ضمن الحدود التى يبيح لهم أن يتمتعوا فيها بحرية رأيهم ، فكل اجتهاد لا يستند الى احكام الشارع الحقيقية ولا يتقيد بحدودها ليس من الاجتهاد الاسلامى فى شىء ولا مكانة له فى نظام الاسلام القانونى .

الاوصاف اللازمة للمجتهدين :

ولأن الاجتهاد ليس المقصود به أحداث الثلم فى القانون الالهى ليستبدل به القانون الانسانى ، وانما المقصود به فهم القانون الالهى فهما دقيقا وجعل نظام الاسلام القانونى ملبيا لحاجات البشر مجاريا لتطور الزمان تحت هدايته وارشاده فلا يصح أى اجتهاد الا بأن يكون المتولون لمهمته على جانب عظيم من الصفات الآتية :

١) الايمان بالشريعة الالهية ، والايقان بكونها الحق ، والعزيمة الخالصة لاتباعها ، وخلو الذهن والفكر من الرغبة فى التحلل من حدودها وقيودها وعدم أخذ الغايات والمبادىء من مصدر غير مصدرها .

٢) الالمام الجيد باللغة العربية وقواعدها واساليب أدبها ، لأن اللغة العربية هى التى بها نزل القرآن ولا يتسنى معرفة السنة الا بها .

٣) التضلع بعلم القرآن والسنة حتى لا يعرف به الانسان أحكام الشريعة الفرعية ومواضعها فحسب ، بل يفهم أيضا قواعدها الكلية وغاياتها معرفة جيدة : يجب أن يعرف المجتهد ما هى خطة الشريعة لاصلاح الحياة الانسانية بأجمعها ، ويعرف الى جانب ذلك ما هى مكانة كل شعبة من شعب الحياة فى هذه الخطة الجامعة الشاملة ، وما هى الخطوط التى تريد الشريعة أن تؤسس عليها مختلف شعب الحياة وما هى المصالح التى ترمى اليها فى تأسيسها أو بكلمة موجزة : ان الاجتهاد شىء يتطلب من الانسان علما بالقرآن والسنة يوصله الى مغزى الشريعة وجوهرها .

٤) الوقوف على تراثنا القانونى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ، والحاجة اليه ليست للتدرب على الاجتهاد فحسب ، بل هى كذلك لاستمرار الارتقاء القانونى لأنه ليس — ولا يسوغ ان يكون — المقصود بالاجتهاد ان يهدم كل جيل جديد ما بناه سالفه أو يحكم عليه بالبلى ويشرع فى بنائه من جديد .

٥) التخلق بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ، لأنه لا يمكن بدونه أن يطمئن عامة الناس الى اجتهاد المجتهدين ولا أن تنشأ فى قلوبهم عاطفة الاحترام للقانون اذا كان قد قام بوضعه الافراد غير الصالحين ..

ليس المطلوب ببيان هذه الاوصاف ان على كل مجتهد ان يثبت بدلائل على

كونه متصفا بها ، بل المطلوب ببيانهـا انه لا يمكن بالاجتهـاد انعاش القانـون الاسلامى وترقيته على الخطوط الصحيحة ، الا بأن يكون نظامنا لتعليم القانـون صالحا لاعداد رجال من ذوى العلم متصفين بهذه الاوصاف والاخلاق المذكورة ، وكل تشريع بدون ذلك لا يمكن أن يتفق مع نظام الاسلام القانونى ولا أن يستسيغه مجتمع المسلمين .

الطريق الصحيح للاجتهاد :

وكما ان قبول الأمة شيئا من الاجتهاد والتشريع يتوقـف على أن يـكون المجتهدون صالحين للاجتهاد ، فكذلك هو يتوقف على أن يكون اجتهادهم بطريق صحيح يطمأن اليه ، فالشريطة الاولى للاجتهاد الصحيح ــ سواء أكان تفسيرا لحكم أو قياسا عليه أو استنباطا منه ــ أن يكون مبنيـا على دلائل من القـرآن والسنة ، وأما اذا كان التشريع فى دائرة المباحات فعلى المجتهد ان يأتى بالدلائل على انه لا القرآن ولا السنة قررا حكما أو قاعدة فى القضية ، ولا جاء فى أحدهما أساس للقياس فيها ، ويجب أن يكون الاستدلال بنصوص القرآن والسنة قائمـا على قاعدة من القواعد المسلم بها بين أهل العلم ، فاذا أراد المجتهد أن يسـتدل بالقرآن ، فعليه أن لا يفسر كل آية الا بما تسمح به اللغة العربية وقواعدهـا وأساليبها المعروفة ، ويتفق مع سياق عبارة القرآن ، ولا يصطدم مع بيانـات القرآن عن الموضوع نفسه فى مواضع أخرى ، وتؤيده شروح السنة القوليـة والفعلية أولا تعارضه على الاقل ، واذا أراد أن يستدل بالسنة الفعلية ــ مـع رعاية اللغة وقواعدها وسياق العبارة ــ ان لا يستدل فى مسألة ما الا بروايات صالحة لقيام الحجة بها حسب أصول علم الرواية ، ولا يغفل ما فى تلك المسألة الخاصة من الروايات القوية الأخرى ولا يستنتج من روايـة ما يخالف الكتـاب والسنة الثابتة بالطرق القوية الاخرى ، وكل اجتهاد لا تراعى فيه هذه الامور ولا يقوم الا على أساس اهواء النفوس ورغباتها وأمانيها ، فانه لو جعل جزءا مـن القانون بالقوة السياسية ، لن يقبله ضمير المسلمين الاجتماعى ، ولن يكون جزءا من نظام الاسلام القانونى ، انه يبقى جزء من القانون ما دامت القوة السياسية التى تنفذه آخذة بزمام نظام الحكومة ثم لا يكون محله مع زوالها الا الى سـلة الاوراق المهملـة .

كيف ينال الاجتهاد درجة القانون :

ونظام الاسلام للقانون فيه عدة صور لنيل اجتهاد فـرد أو طائفة درجـة القانون فمنها ان ينعقد عليه اجماع أهل العلم من الأمة ، ومنها أن يتلقاه الجمهور بالقبول كما قد تلقوا الفقه الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى فى غير واحد من البلاد الاسلامية ، ومنها أن تتبناه حكومة من حكومات المسلمين وتجعله قانونـا لنفسها ، ومنها أن يكون فى الدولة مجلس للتشريع حسب الدستور فيسن القانون باجتهاده ، أما اجتهاد مختلف أهل العلم عـلاوة على هذه الصور ، فهو بمثابـة الفتوى لا أكثر ، وأما أقضية القضاة فى المحاكم فهى ــ على نفاذها فى ما يرفـع اليهم من الدعاوى وكونها بمثابة النظائر والاشباه ــ لا تكون قانونا بالمعنـى

الصحيح ، حتى أن أقضية الخلفاء الراشدين لم تنل درجة القانون فى الاسلام ممن صدرت عنهم بصفتهم قضاة فى المحكمة .

انى سأحاول فى ختام هذا البحث أن أجيب — بأقصى ما يمكن من الايجاز — على ما يمكن أن يثار حوله من اعتراضات : فالاعتراض الاول هو على المكانة التى بينتها للسنة مع القرآن فى التشريع الاسلامى ، فأريد — جوابا على هـذا الاعتراض — ان أقدم اليكم أمورا ، حتى تتضح لكم القضية وذلك بالترتيب الآتى :

أولا — ان من الحقائق التاريخية الثابتة ، التى لا تقبل الانكار والجحود ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان قد اكتفى — بعد أن أكرمه الله تعـالى برسالته — بتبليـغ الناس القرآن بتلاوته عليهم ، بل كان مع ذلك ، قد قام بحركة شاملة ، ظهر كنتيجة لها ، مجتمع اسلامى خالص ونظام جديد للمدنية والحضارة وقامت دولة واسعة فى بلاد العرب ، فالسؤال الذى ينشأ فى هذا الصدد ، ان جميع هذه الاعمال التى قام بها الرسول ، عليه الصلاة والتسليم علاوة على تبليغ القرآن بتلاوته على الناس ، بأى صفة وعلى أى اعتبار كان قد قام بها ؟ هل كان قيامه بها من حيث كان رسولا من الله ، ممثلا لمرضاته ، مثل تمثيل القرآن اياها ، أم انما كانت رسالته تنتهى بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتى لم يـكن بعدها الا رجلا عاديا من عامة المسلمين ، حيث لا حجة بقوله ولا عبرة بفعله فى حد ذاته ، من الوجهة القانونية ؟ فاذا سلمنا بالصورة الاولى ، فلا بد لنا أن نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن ، واما فى الصورة الثانية ، فلا مبرر البتة ، لجعلها من القانون .

ثانيا — أما القرآن ، فيبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا ابهام ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب ، بل كان — مع ذلك — اماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين ان يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكره ويعتبروا حياته أسوة لأنفسهم .

واما العقل ، فيأبى كل الاباء ان يعترف بقول من يقول ان الرسول انما هو رسول لحد تبليغه للناس كلام ربهم ، وما هو بعد ذلك الا رجل مثل سائر الرجال ، أما المسلمون منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا ، فما زالوا ولا يزالون مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم اسوة واجبة الاتباع ، وان كل أمر من أوامره ونهى من نواهيه يجب الوقوف عنده ، ان هذه هى العقيدة التى ما زال ولا يزال عليها المسلمون ، ولا يسع مسلما ان يجحد بأن هذه هى مكانـة الرسول التى آمن بها المسلمون فى كل مكان وفى كل زمـان ، وانهم لأجل هـذا ما زالوا يسلمون بسنته مصدرا أساسيا لقانونهم مـع القرآن ، وليت شـعرى كيف يجوز لرجل فـى هذا الزمان ، أن يتحدى هذه المكانة للسنة ما دام لا يعلن اعلانا واضحا سافرا أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان نبيا الى حد تبليغه القرآن ، حيث كانت نبوته تنتهى بمجرد فراغه من تلاوته على الناس ثم ان هـذا الرجل — اذا كان يدعى ذلك — عليه أن يبين أن كان يعطى الرسول هذه المكانة من عند نفسه أو أن القرآن هو الذى قد أعطى الرسول هذه المكانـة ؟ اما فـى

الصورة الاولى فلا علاقة له بالاسلام ابدا وأما فى الصورة الأخرى ، فعليه أن يستدل بنص من نصوص القرآن .

ثالثا ــ والسؤال الذى ينشأ بعد تسليمنا بالسنة مصدرا أساسيا للقانون فى حد ذاتها وهو : ما هى الوسيلة لمعرفة السنة ؟ فأقول جوابا على هذا ان ليس لأول مرة قد واجهنا السؤال بأن السنة ، التى تركتها فى الدنيا تلك الرسالة التى كانت قد ظهرت فى بلاد العرب قبل الف وخمسمائة سنة ، ماذا كانت هى ؟ فهناك حقيقتان تاريخيتان لا تقبلان الانكار او المكابرة أولاهما : ان المجتمع الذى تأسس على تعليم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بدء الاسلام ، لا يزال حيا قائما الى هذا اليوم وما فارقته حياته ليوم واحد ، وما زالت جميع مؤسساته طيلة هذه المدة قائمة بأعمالها بصفة غير منقطعة وان التشابه الذى يوجد اليوم بين المسلمين فى جميع اقطار الارض على تباعدها فى عقائدهم وأساليب فكرهم واخلاقهم وقيمهم وعباداتهم ومعاملاتهم ونظريتهم فى الحياة وطريقتهم لها ان هذا التشابه أو التماثل بين المسلمين الذى يغلب فيه عنصر التوافق والتطابق على عنصر التخالف والتفارق ، لهو دليل واضح ، وبرهان قاطع على أن المجتمع انما اقيم على سنة واحدة بعينهــا ، وان هذه الســنة ما زالت جارية فى مجراهــا بصفة واحدة بدون انقطاع ولا توقف ان هذه السنة ليست بشىء مفقــود حتى نحتاج للبحث عن آثارها الى التخبط خبط عشواء فى الظلمات .

والحقيقة التاريخية الثانية ، التى لا تقل عن الاولى فى جلائها وسطوعها ، هى ان المسلمين ما زالوا فى كل زمان بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يبذلون سعيهم ليعرفوا ما هى السنة الثابتة ، وما هو الشىءالاجنبى الذىيحاول التسرب الى نظامهم للحياة بطريق صناعى وبما انهم كانوا يرون فى السنة مصدرا لقانونهم وما كانت تحكم محاكمهم الا بها ولا كانت تجرى شؤون حياتهم ــ من شؤون بيوتهم الى شــؤون حكوماتهم ــ الا على اساسها ، فما كان لهم بوجــه من الوجوه ، ان يكونــــوا من الغـــــافلين غير المكترثين لشـــىء فى تحقيقهـــا ، فمـــا زال كل جيل منا ــ منذ خلافة الاسلام الاولى الى هذا اليوم ــ يرث عن سالفه وسائل هذا التحقيق ونتائجه ولا يزال محتفظا به عندنا اليوم كل عمل تم على يد جيل من اجيالنا الماضية بدون انقطاع ولا ضياع .

فهاتان الحقيقتان التاريخيتان اذا تأمل فيهما الانسان ودرس ما اتخذ مــن الوسائل لنقل السنة دراسة علمية وافية ، لا تكاد تساوره الشبهة بأن قضيــة تحقيق السنة ووسائل معرفتها معضلة ، لا يمكن أن يوجد لها حل .

رابعا ــ لا شك ان قد ظهرت فى الماضى ، ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك اختلافات كثيرة فى المسلمين حول تحقيق السنة وتعيينها ، ولكن اليس من الحقيقة فى الوقت نفسه أن قد ظهر ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك ، مثل هذه الاختلافات فى المسلمين حول تعيين المعنى لكثير من احكام القرآن وآياته ، فاذا كان لا يجوز أن يكون وجود مثل هذه الاختلافات دليلا على ترك القرآن ، فكيــف يجوز ان يكون دليلا على ترك السنة ؟ من القواعد التى ما زال يعترف بها من قبل

ولا بد من الاعتراف بها اليوم أيضا ، ان كل من يدعى شيئا انه من أحكام القرآن او أحكام السنة ، عليه أن يأتى بدليل على دعواه ، فان كانت دعواه قوية ، فلا بد ان ترغم اهل العلم من الامة او عددا كبيرا منهم على الاقل ، على الاعتراف بصحتها ، واما ان كانت دعواه بدون وزن باعتبار الدليل ، فلا تنال رواجا فى الامة ابدا ، وهذه هى القاعدة التى على اساسها قد اجتمع عشرات الملايين من المسلمين فى مختلف اقطار الارض على مذهب من المذاهب الفقهية واقامت جماعات كبيرة منهم نظامها الاجتماعى على طريق من الطرق لتفسير احكام القرآن ومجموعة من مجامع السنة الثابتة .

هذا هو جوابى على الاعتراض الاول ، اما الاعتراض الثانى على مقالى ، فهو أن فيه التناقض اى ان قولى « ان ليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعى ان يغير فى احكام الكتاب والسنة القاطعة » وقولى « انه يجب أن يشخص بصدد تفسير الاحكام انه اين والى اى حد يجوز للانسان التشريع للحالات والوقائع الاستثنائية على ان لا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها » ، فهذان القولان بينهما التناقض فى نظر المعترض ، غير انى ما استطعت أن أجد بينهما هذا التناقض ، لأن الدنيا لا يوجد فيها قانون ، الا وفيه الاستثناء من القاعدة العامة فى حالة الاعتذار والاضطرار ، وان القرآن نفسه فيه غير نظير واحد لمثل هذه الرخص والاستثناءات ، وان الفقهاء قد حددوا القواعد التى لا بد من رعايتها فى تعيين الرخصة ومواقعها ، كقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات ، وقاعدة ان المشقة تجلب التيسير . والاعتراض الثالث على جميع اولئك الذين قد بينوا فى مقالاتهم شرائط للاجتهاد والمجتهدين وبما انى واحد من هؤلاء ، ارى من الواجب على نفسى ان اقوم بالرد على هذا الاعتراض .

فالذى يحسن بى — فى هذا الصدد — ان اطالب المعترض بأن يتفضل ويعيد النظر مرة اخرى فى ما بينت فى مقالى من الشرائط ، ويبين اى هذه الشرائط يريد اسقاطه ؟ اشرط أن يكون المجتهد مؤمنا بالشريعة الاسلامية وموقنا بكونها الحق ؟ ام شرط ان يكون ملما باللغة العربية وقواعدها واساليب ادبها ؟ أم شرط أن يكون متضلعا من علم القرآن والسنة ، أم شرط يكون واقفا على تراث الامة القانونى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ؟ أم شرط أن يكون مطلعا على احوال الحياة العملية ؟ ام شرط ان يكون متخلقا بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ؟ — هذه هى الشرائط التى بينتها فى مقالى ، فليتكرم المعترض ويبين بالتحديد اى شرط من هذه الشرائط يجب حذفه ؟ اما القول بأنه لا يمكن أن يوجد فى الدنيا كلها الا عشرة او احد عشر رجلا يعتبر اهلا لمثل هذه الشرائط ، فانى لا ارى هذا القول الا مبالغة شنيعة فى سوء الظن بمسلمى الدنيا .

ولعلنا لم ننل الانحطاط حتى فى نظر أعدائنا الى درجة أن لا يروا من بين مسلمى الدنيا كلها الا عشرة او احد عشر رجلا متصفين بهذه الصفات اللازمة للاجتهاد ، واقول إنكم اذا كنتم متشوقين الى فتح باب الاجتهاد لكل زيد وعمرو ، فافتحوه على الراس والعين ، ولكن بينوا لى على الاقل أن الاجتهاد الذى سيتولاه الجهال بالاسلام ، غير المتقيدين بالاخلاق ، غير المخلصين فى ارادتهم المشبوهين فى نياتهم ، ماذا ستعملون لجعل اجتهادهم شرابا عذبا فراتا ، يستسيغه جمهور المسلمين .



للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

المسارعون في الخيرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » (١) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : (لا ، يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم . » اولئك الذين يسارعون فى الخيرات .

رواه ابن ماجة والترمذى

١ نظرة فى الآية الكريمة وخاصة فى الفعل (يؤتون) بالاضافة الى سؤال أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وجواب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعطى أن فى هذا الفعل قراءتين ، فقد قرأت أم المؤمنين : (يأتون) وتابعها فى ذلك ابن عباس وقتادة والأعمش والنخعى ، والمعنى على هذه القراءة (يفعلون) فهو من الاتيان يأتون ما اتوا أى يفعلون ما فعلوا ، وعليه صح أن يرد السؤال : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ، وفى رواية زيادة : ويزنون ، أى يفعلون هذه الافعال المنهى عنها شرعا ، والقراءة الثانية للجمهور : يؤتون أى يعطون ، وفى جواب سيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ما يشير الى هذا فقد قال : لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون . . الخ . . ومع هذا يخافون ألا يقبل منهم ما قدموا ، ولهذا قيل : المؤمن يجمع احسانا وشفقة ، والمنافق يجمع اساءة وامنا ، وقال أبو عبد الله الرازى (ترتيب هذه الصفات (٢) فى نهاية الحسن ، لأن الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء فى الطاعة ، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتى بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين) .

بعد هذا نجد الجواب الشريف راسما الصورة الصادقة للمؤمن الكامل الايمان ، فالمؤمن الحق هو المعتقد اعتقادا جازما بوجود الله وصدق رسله غير مرتاب ولا شاك ، فهو يرى أن اداء ما فرضه الله عليه واجب لا يمكن مخالفته ، وأن الجهاد بالنفس والمال للموت والفناء أو النصر وكريم البقاء من أسمى غايات

الايمان ، يقول الله تبارك وتعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) ومن ظن أن الايمان هو اظهار القول دون التصديق بالقلب ودون أن يبرز اثر ذلك الايمان فى تصرفات المؤمن على حد قوله فهو اما منافق يدافع عن المنافقين مؤيدا لهم واما جاهل لا يدرى ما يقول ، قد اخرجه عناده عن دائرة الحق . والايمان يقرب العبد من ربه ويحمله على الخوف الشديد من لقائه ، وقد حث القرآن الكريم على الخوف من الله فقال سبحانه : (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى لا تخافوا أولياء الشيطان ولا تحفلوا بهم ، بل خافونى فى مخالفة امرى لأنكم اوليائى وانا ناصركم . وقال سبحانه : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وروى الترمذى عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خاف ادلج ، ومن ادلج بلغ المنزل ، الا ان سلعة الله غالية ، الا ان سلعة الله الجنة) . والمؤمن متوكل على الله معتمد عليه واثق به موقن انه ناصره وهو حسبه ، وورد فى القرآن الكريم ما يشير الى ان التوكل شرط فى الايمان فى قوله تعالى : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وفى قوله جل وعلا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) كما اشار القرآن الى حديث لرسل الله مع اقوامهم يؤيد هذا (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وحكى القرآن عن سيدنا هود عليه وعلى سيدنا محمد افضل الصلاة وأزكى السلام قوله (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) وما أكثر الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر التوكل على الله ، وروى ابن ماجة عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان بقلب ابن آدم أودية ولكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد هلك ومن توكل على الله كفاه الله الشعب) . وفى مسند الامام احمد وسنن ابن ماجة والدارمى عن ابى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (انى لأعلم آية فى كتاب الله عز وجل لو اخذ الناس بها لكفتهم (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل لكل شىء قدرا) من دلائل الثقة بالله ، وقوة الايمان به ان يرهب المؤمن عقاب الله ويخشع لجلاله ويسارع فى عمل الطاعات مع الامل فى ثواب الله تعالى ، وقد مدح الله سبحانه عباده الذين اخلصوا العمل وخشعت قلوبهم لسلطانه ، قال تعالى : « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » وقال عز اسمه « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .

٢ — ويلاحظ فى الآيات والأحاديث أنها تدعو دائما للعمل الجاد مع الرجاء والخشية من الله ، فثواب الله وجناته لا تنال بالكلام دون التطبيق العملى الواقعى ، فلو وقف انسان تحت شجرة مثمرة الف عام وهو ماد يديه الى الثمر يطلب جناها دون أن يعمل ما يساقط عليه ثمارها فلن يحصل على طائل منها مهما دعا ومهما جأر بصوته ومهما نادى ، ولهذا كان من دلائل القرب من الله ادمان العمل بأوامره واجتناب نواهيه فمن أشفق من عذاب ربه عمل ما يبعده عنه ، ومن خاف أن يحشر الى الله وليس له من دونه ولى ولا شفيع فعليه بالعمل والامتثال وانظر الى قوله تعالى (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون . ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك

عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) وقوله سبحانه (انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وقوله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دائب العمل والاستغفار وقد ورد انه نوقش في هذا وقيل له لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأجاب عليه الصلاة والسلام : افلا اكون عبدا شكورا ، وورد أنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة والعدد هنا لا مفهوم له فربما كان يزيد الى مئات ، ومجمل القول أن الذي يقول ولا يعمل هو مخادع كذاب لا يخشى الله ولا اليوم الآخر .

٣ ــ فالذين يتحدث عنهم الرسول الكريم يعملون ويخافون أن لا يقبل منهم عمل ووصفهم بأنهم يسارعون في الخيرات وهنا نثوب الى واقع المسلمين ونتساءل هل طبقوا ما يعلمون من دينهم على ما يعملون في واقع حياتهم والجواب الذي يمليه ما هم عليه : كلا والف كلا حتى حملوا أسماء الاضداد فهذا مسلم ظاهرا وهو ابعد ما يكون عن الاسلام حقيقة ، وذاك سميع لله وهو يهجر ابسط قواعد دين الله ، وكأني بالمسلمين يتحدون ربهم والعياذ بالله من شر الوسواس الخناس،وذلك حين يقاتل بعضهم بعضا،ويقطع بعضهم أواصر القربى فقل لي من اعان التتر على المسلمين،ومن مزق دولتهم في القرون الاولى من تاريخ الاسلام،ومن أعطى الأندلس بعد اسلامها الذي دام ثمانية قرون لقمة سائغة لأعداء الله ، ومن حالف الكفر واستنصر به ، وولى ظهره لبني عمومته واوليائه المسلمين ، السنا نجني الآن ثمار اهمال طويل لدين الله ، وما واقع المسلمين اليوم الا حكاية كل يوم مر بهم عبر السنين المتلاحقة التي ولت ، وهم جثاة على أعتاب الشيطان الذي أذلهم حين عاذوا به ويوم لاذوا بسلطانه فزادهم رهقا ، وكيف يطلب احترام الغير من لا يقدر نفسه ولا يزنها بميزان اسلامه وكرامته ، بميزان قرآنه وسنة نبيه .

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها — هوانا بها كانت على الناس أهونا

عاش المسلمون دهرا يستذل قويهم ضعيفهم فخرست الألسن عن الحق ، ولاذ مؤمنهم بجحر ضب خرب ، وأصم أذنيه وأعمى عينيه ، يرى ما يستحق الانكار ولا يستطيع أن يفتح فاه بكلمة صدق فضاعت فيهم حرية الرأي وانطلقت ألسنة السوء تغتال كل كريمة وتقبح كل حسن وتجمل ما ساء وما يهلك ، واحتال العقلاء للوصول الى طريق النجاة ولكن هيهات ، واخيرا تواكلوا ولم يتوكلوا ، وتركوا اللب واهتموا بالقشور، جرت الأمثال تنذر أحيانا في أسلوب ساخر تلميحا ففي التصريح الموت والدمار وقال قائلهم : (علام تناطحون والجزار بالباب) ونادى مناديهم (كلنا في الهم شرق) وما قصر الداعون وان عملوا في جو رهيب .

ونعود فنتذكر أن اليأس مهلك ، وأن الأمل محيي موات القلوب ونسارع الى كتاب الله والى جهاد السابقين فنجد الدواء والقدوة ولقد كان لنا في رسول الله الاسوة الحسنة ، وعسى أن يطلع الغد بما هو خير لأوطان الاسلام ونور يضيء لقادة القوم طريق الحياة الكريمة ويريهم الغي غيا فيبتعدوا عنه ، وسبيل الرشد صلاحا فيسلكوه ، ومهما طال الليل فلا بد من فجر ، ومتى اشتد الظلام طلب الضياء فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا . ولكن لا بد من اقتران القول بالعمل والاستعانة برب كل شيء فالله يقول بعد هذا « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » .

---

(١) الاية ٦٠ (ن سورة « المؤمنون » .

(٢) الواردة في الآيات المنضمة الى الآية الكريمة التي معها وقد سبقها ولحقها آيات اخر هي من قول الله تعالى « ان الذين هم من ربهم مشفقون ، الى قوله سبحانه اولئك يسارعون في الخيرات » .

الإيمان

محمد مؤذن

عقيدة وعمل

للدكتور محمد سلام مدكور

ان هذا الوجود كله بما فيه من حيوان ونبات وجماد ، وبما فيه من صنع عظيم وانتظام بديع وتنسيق رفيع ، لأكبر آية على وجود مبدع لا شريك له .

ان هذا الوجود بنظامه الدقيق ، وما فيه من سنن لا تتخلف ، وتماسك لا يقبل التفكك ، آية على ذلك الاله العظيم . فهذا الوجود لا بد له من موجد عظيم ، وهذا الخلق العجيب لا بد له من خالق قدير . فمحال أن يكون ذلك الكون نشأ وحده دون قوة تنشئه وتدبر شأنه ، كما أن محالا أن تكون صنعة لا صانع لها وان لم تر الصانع حين صنع . فكل أثر لا بد له من مؤثر ، وكل موجود لا بد له من موجد ، ولهذا سئل الأعرابى فقيل له : كيف عرفت ربك ؟ فقال : الأثر يدل على المسير ، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، الا تدل على اللطيف الخبير .

وان كل عقل سليم اذا فكر اهتدى لا محالة الى معرفة خالقه فآمن به واتجه الى عبادته تقديرا لربوبيته وشكرا له على نعمته « ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم » .

والايمان هو النور الذى يضىء للقلب طريقه فى الحياة على نوعين : — ايمان بقيمة الفضيلة والسلوك الحسن ، وايمان بذات عالية رقيبة على السرائر ، يستمد القانون سلطانه الأدبى من أمرها

. ولا ريب أن هذا الأخير أقوى سلطانا على النفس الانسانية ، وأسرع نفاذا فى قلوب العامة والخاصة لايمانهم بوجود رقيب على سلطان الضمير . ومن أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة ، وكان التدين ضرورة اجتماعية ، كما هو فطرة انسانية وفيه صلاح الفرد وصلاح الجماعة كلها .

والايمان هو التصديق ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمان ، ولذا كان الايمان أشرف أجزاء الاسلام الذى هو التسليم والانقياد بالقلب أو اللسان أو الجوارح ، يقول الله فى بيان ذلك « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .. » أى استسلمنا فى الظاهر ، وهذا يفيد أن الايمان دعامته التصديق بالقلب ، وأن الاسلام اظهار ذلك بالجوارح ، ولذا فان الله سبحانه يقول « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ولم يقل بالاسلام . وقد جاء فى الحديث الشريف أن الرسول عليه السلام سئل أى العمل أفضل ؟ فقال الاسلام ، فسئل أى الاسلام أفضل ؟ فقال الايمان .

وقيل إن الايمان تصديق بالقلب وشهادة باللسان وعمل بالأركان ، ولا شك أن من جمع بين اطمئنان القلب بالايمان واظهاره ذلك باللسان واقامة الشعائر والعمل الصالح كان فى أعلى الدرجات .

وقد اشتهر عن السلف قولهم : ان الايمان عقد وقول وعمل . وان كنا نقول : ان الايمان يتحقق بتصديق القلب واطمئنانه ، الا أننا نرى أن اظهار ذلك بالقول والعمل الصالح مكمل له ومتمم ، فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من الانسان ، وبوجوده يتحقق وجود الانسان وبانعدامه ينعدم الانسان ، وبقية الطاعات ، ومنها اظهار الايمان بالقول والفعل تكون كأطراف الانسان فانه بزوال بعض هذه الاجزاء لا تنعدم حياة الانسان ، وانما هى مكملة ومتممة له ، كما أن الأعمال التى هى عنوان على التصديق النفسى من مكملات الايمان ، وان قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » ومعناه أن ايمانه فى هذه الحالة لا يكون كاملا ، وليس معناه انه افتقد ايمانه ، بدليل أن الزانى يعامل فى الاسلام معاملة المؤمنين ، ويدفن اذا مات فى مقابر المسلمين .

ولهذا يقول السلف ان الايمان يزيد وينقص بالعمل الصالح ، والعمل السىء ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فالعمل يؤثر فى نماء الايمان وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ، ولذلك قال الله تعالى : « فزادتهم ايمانا » وقال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ولهذا قال على كرم الله وجهه : ان الايمان ليبدوا لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم .. ويبدو أنه رضى الله عنه يقصد قول الله تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

وكل هذا يدل بوضوح على ارتباط كمال الايمان وتمامه بالاعمال ، وأن الطاعة تزيده وتقويه ، وأن المعصية تنقصه وتضعفه فالله سبحانه جل شأنه يقرن الايمان بالعمل فى الكثير الغالب ، ويجعل الايمان أصل الصلاحية « الفلاح والعمل مترتبا

عليه ، ومقاما على أساسه ، ليشعر أن العمل من غير أساس يكون ضعيفا واهيا مآله الزوال العاجل ، وان الايمان دون عمل لا يظهر له نفع ولا يعود على الناس منه خير . فهو كمن يصنع الأساس دون أن يقيم عليه أى بناء ، انظر فى هذا التشبيه قول الله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به » .. وكذلك فان ما روى عن الرسول عليه السلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فيه ما يشعر بوضوح بارتباط كمال الايمان وتمامه بالعمل الصالح الذى ينفع الفرد والمجتمع . وأنه لتشبيه بليغ أن يقول صلوات الله عليه « الايمان عريان ولباسه التقوى ، فهو صلوات الله عليه يبين أن الايمان هو الأصل والأساس ، ويشبهه بالانسان ، ويشبه العمل الصالح باللباس الساتر للعورة والواقى من الحر والبرد ، كما ربط صلوات الله وسلامه عليه الايمان بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن . اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، واذا عاهد غدر » ..

وفى هذا الحديث ما يدل بوضوح أيضا على أن مجرد زعم الايمان والاذعان دون تحققه وتعلق القلب به لا يجدى ، وأن ما يقوم به الشخص مع ذلك من عمل يكون من غير أساس . ويؤيد هذا المعنى بوضوح قول الله سبحانه وتعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . » فهو يدل على أن العمل بدون ايمان لا أثر له فى ميزان الأفعال عند الله ، ولا قيمة له عنده ، ولا ثواب له عليه ، ولهذا يقول العلماء : من فقد الايمان وعمل مهما عمل من الصالحات ، فان الله سبحانه جل شأنه بعدله واحسانه يكافئه عليه حسنات فى الدنيا ، وقد تكون تلك الحسنات بدفع بعض المكروهات حتى يجىء يوم القيامة ولا يجد مما عمل شيئا من الثواب .

وكذلك قول الله تبارك وتعالى فى أعمال غير المؤمنين اذ يشبهها برماد أزالته الريح فى يوم عاصف تشتد فيه الرياح فيقول جل جلاله : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

ومن هذا يتبين بوضوح صدق القول بأن الله لا ينظر الى صورنا ، وانما ينظر الى قلوبنا وأعمالنا فالأساس هو العمل المقام على نية صادقة وايمان كامل . كما يبين مدى اهتمام الاسلام بالعمل فى الحياة ، حتى بين الله سبحانه لنا أنه خلق الموت والحياة ، لتكون الحياة مجال عمل ، ويتبين من أحسن عملا يقول الله جل شأنه « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .. » فنعم أجر العاملين.

فليس الايمان اذا أن أنطق بالشهادتين ، وأن أومن بالبعث والحساب ، وبأن الفضائل مطلوب فعلها وأن الرذائل مطلوب اجتنابها ، وأن معاملات الناس بعضهم مع بعض أفراد وجماعات يجب أن تقوم على الحب والاخلاص والصدق والوفاء ، وأن الفرد يجب أن يتقرب الى الله بالعبادة وفعل الخير والاحسان الى الناس بفعل ما يعود على مجتمعهم بالنفع ، ليس الايمان أن يعتقد الشخص فى نفسه بكل ذلك

دون أن يكون له أثر فى فعله وقوله . وانما لا يكتمل الايمان الا اذا كان لذلك مظهر واضح فى الأقوال والأفعال ، فيتصف بالصدق والوفاء والأمانة والاخلاص ، ويعرف عنه الكد والكفاح والعمل فى مجال الحياة بما ينفعه ويجعله شخصا نافعا لجماعته وقومه .

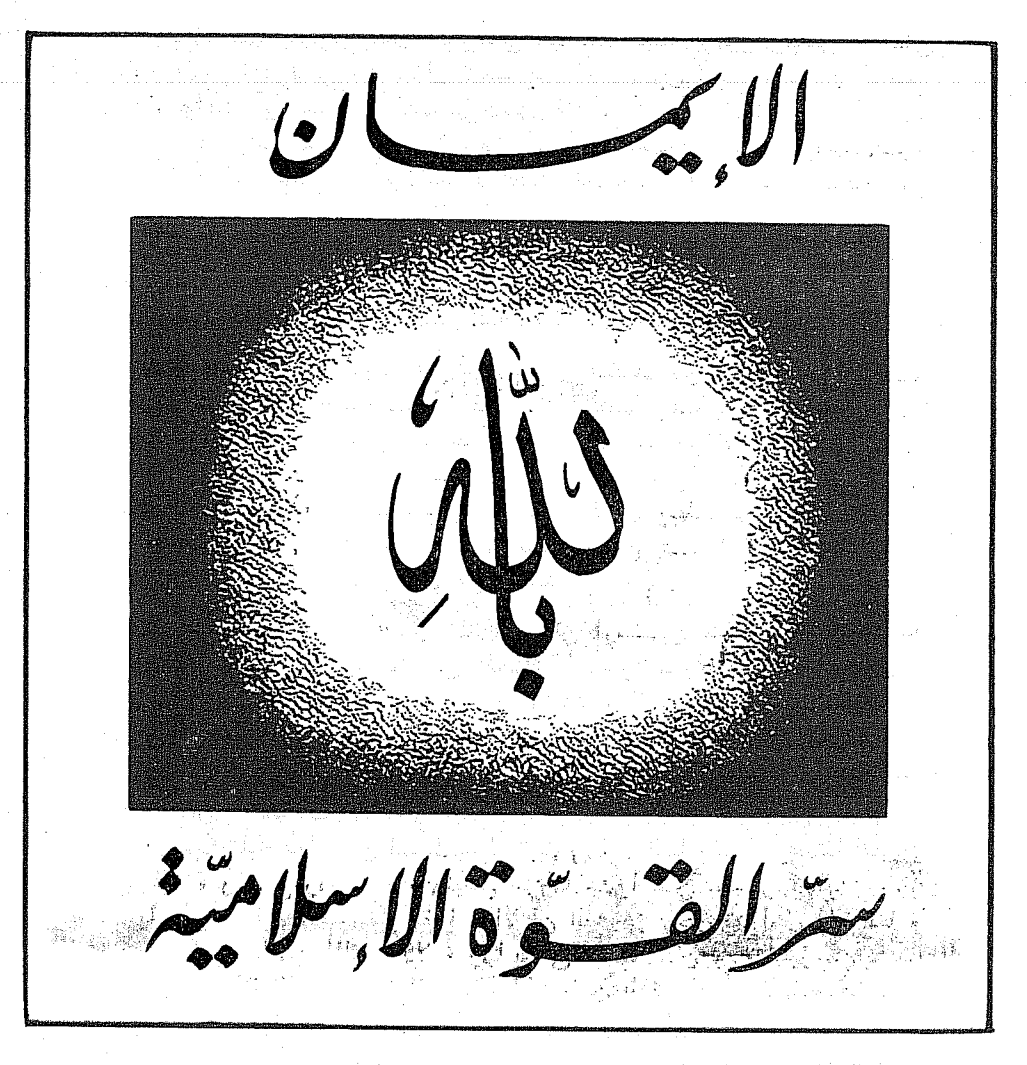
فالكذب والغدر والخيانة وقول الزور وفعل الموبقات مما يضعف الايمان وينقصه ، والخلود الى الخمول والكسل والقصور عن العمل والكد والكفاح والضرب فى الأرض للاستفادة بما بثه الله فيها من خيرات ، وعدم السعى للتزود بالعلم والمعرفة بقدر الطاقة والمستطاع مما يضعف الايمان وينقصه .

فالعمل المطلوب من المؤمن ليس هو فقط فعله العبادات المعروفة ، وانما كل عمل نافع فى الحياة لأن كل ذلك عبادة وقد وردت فى القرآن والسنة أمثلة كثيرة تؤكد هذا المعنى وتصف الأنبياء بأنهم كانوا ذوى حرف وصناعات ، فضلا عن انشغالهم بالدعوة الى الله . فقد كانت مهنة داود عليه السلام أن يصنع الدروع والسيوف ، أشبه بمهنة الحدادة فى عصرنا ، فقد ألان الله له الحديد ، وأقدره على تحويله يقول الله تعالى « يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات .. » .

ويقول الرسول صلوات الله عليه « ما أكل أحد طعاما خير من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وكانت مهنة نوح النجارة وصناعة السفن يقول الله تعالى « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون. ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » وكانت مهنة موسى عليه السلام رعى الغنم فقد أشار القرآن الكريم الى أنه اشتغل أجيرا عشر سنين فى أرض قومه ، وهكذا بالنسبة لخاتم الرسل فانه اشتغل برعى الغنم وبالتجارة ، وكانت حياته كلها كفاح وعمل فى سياسة الدولة والفصل بين الناس ، فضلا عن توجيههم وارشادهم « وفضلا عن العبادات الخاصة » ولذا فانه صلوات الله عليه يقول فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله عنهما « أن الله يحب المؤمن المحترف » ويقول فيما روته السيدة عائشة رضى الله عنها « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » والله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ».

فالايمان يا أخى القارىء عقيدة وعمل. تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، والعمل هناك يقتصر على الصلاة والصوم وغيرهما مما عرف باسم العبادات وانما هو شامل لكل أعمال الخير التى تنفع المجتمع ، وتعود على البشرية بالخير وفقنا الله الى الايمان الكامل .

والى لقاء قادم لنتكلم عن العقائد التى طلب الله سبحانه منا الايمان بها .



للأستاذ محمد عطية الأبراشي

ان الايمان بالله هو الذى حبب الى المسلمين الاستشهاد فى سبيل الاسلام وجعلهم يعتقدون أن الاستشهاد نصر من الله دونه كل نصر . ولا نبالغ اذا قلنا ان الاسلام لم ينتشر الا بالايمان . فالايمان هو سر القوة الاسلامية ، وسر انتصار المسلمين الأول فى نشر الدين الاسلامى فى الامبراطورية الاسلامية العظيمة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين .

وفى أثناء فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص أرسل المقوقس الى عمرو رجالا من أصحابه ليروا كيف يعيش المسلمون .

فلما أتت عمرا رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم المقوقس ، فقـــال لأصحابه : « أترون أنهم يقتلـــون الرسل ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك فى دينهم ؟ » .

وقد أراد عمرو بذلك أن يروا حـــال المسلمين ، ثم رد عليهم عمرو بقوله : « انه ليس بينى وبينكم الا احدى ثلاث خصال : اما ان دخلتم فى الاسلام ، فكنتم اخواننا فى الاسلام ، وكان لكم ما لنا . وان أبيتم أعطيتم الجزية عن يد (قدرة) وأنتم صاغرون وأما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين . »

فلما جاءت رسل المقوقس اليه سألهم : كيف رأيتموهم ؟

فأجابوا : رأينا قوما الموت أحب الىأحدهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعـــة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمـــة . وانما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون فى صلاتهم .

فقال المقوقس : والذى يحلف بـــه لو أن هـــؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .

ويؤخذ من اجابة رسل المقوقس أن المسلمين كانوا مثلا للشجاعة والبسالة يحبون الموت أكثر من الحياة . كانوا متواضعين ، زاهدين ، غير مترفين . يعيشون عيشة تقشف وزهد ، لا يفكرون فـــى المظاهر . يؤمنون بالاخوة والمساواة ، فأميرهم يرى كأى فرد منهم . لا يعرف فيهم الرفيع من الوضيع ، ولا السيد من العبد . يؤمنون بربهم ، ويعبدونـــه وحده ، خاشعين فى عبادتهم .

ومما قاله عبادة بن الصامت للمقوقس : « انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حـــارب الله لرغبة الدنيا ، ولا طلبا للاستكثار منها ، الا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك الا درهما ، لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بهـــا جوعته ، ليلته ونهاره ، وشملة (١) يلتحفها . وان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفـــاه . وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله ، واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخـــاءها ليس برخـــاء ، وانما النعيم فى الآخرة . بذلك أمرنا الله ، وأمرنا بـــه نبينا ، وعهد الينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضا ربـــه ، وجهاد عدوه .

وبينما عبادة بن الصامت يصلى فى ناحية ، وفرسه عنده ـــ رآه قوم من الـــروم ، فخرجوا اليه ، وتحرشوا به ، فلما دنوا منه سلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم . فلما رأوه ولوا هاربين ، وتبعهم فجعلوا يلقون حللهم ومتاعهم ، ليشغلوه بذلك عن طلبهم ، فصار لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن . ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة ، فرجع ، ولم يتعرض لشىء مما رموه من متاعهم ، حتى رجع الى المكـــان الذى كان فيه ، فاستقبل الصلاة ، وخرج الـــروم الى متاعهم وجمعوه .

وهكذا يكون الايمان بالله ، والزهد فى الدنيا ومتاعها ، والشجاعة والاقدام .

الله معك وكفى بالله وليا ونصيرا :

وقد كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب ، وأرسل الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالى :

« أما بعد : أخبر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أن الروم نفرت (٢) الى المسلمين برا وبحرا ، ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح الا جاشوا (٣) به ، وجاءونا وهم نحو أربعمائة ألف رجل ... فالعجل العجل يا أمير المؤمنين ؟ بالرجال والا فاحتسب أنفس المؤمنين أن هم اقاموا ، ودينهم منهم ان هم تفرقوا ، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به ، الا أن يمدهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغياث من قبله . والسلام عليك . »

فكتب عمر الى أبى عبيدة :

« أما بعد ، فقد قدم على أخو ثمالة بكتابك ، يخبرنى فيه بنفير الروم (اسراعهم) الى المسلمين برا وبحرا .... وان ربنا المحمود عندنا ، والصانع لنا ، والعظيم ذا المن والنعمة الدائمة علينا ... بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال — وهو لا يخلف الميعاد : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون . » فلا يهولنك كثرة ما جاءك منهم ، فان الله منهم برىء . ومن برىء الله منه كان قمنا (٤) لا تنفعه كثرة وان يكله الله الى نفسه ويخذله . ولا توحشك قلة المسلمين فى المشركين (٥) فان الله معك . وليس قليلا من كان الله معه . فأقم بمكانك الذى أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم (٦) وتستظهر (٧) بالله عليهم . وكفى به ظهيرا ووليا ونصيرا . وقد فهمت مقالتك : « احتسب أنفس المسلمين ان هم أقاموا ، ودينهم ان هم تفرقوا . فقد جاءهم ما لا قبل لهم به . الا أن يمدهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغياث (٨) من قبله » .

وأيم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأت . ولعمرى ان أقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خير للابرار . « فمنهم من قضى نحبه (٩) ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » « فطوبى)) (١٠) للشهداء . وان لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصرّعين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطنه . فما عجز الذين قاتلوا فى سبيل الله ، ولا هابوا الموت فى جنب الله ، ولا وهن الذين بقوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكنهم تأسوا بهم ، وجاهدوا فى الله من خالفهم منهم ، وفارق دينهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون (١١) كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » . فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .

واقرأ كتابى هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلوا فى سبيل الله ، وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

فاما قولك : انهم قد جاءهم ما لا قبل لهم به ، فالا يكن لكم بهم قبل (طاقة) فان لله بهم قبلا ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدرا . ولو كنا والله انما نقاتل الناس بحولنا وقوتنا وكثرتنا لهيهات ما قد أبادونا (١٢) وأهلكونا. ولكن نتوكل على الله ربنا ، ونبرأ اليه من الحول والقوة ، ونسأله النصر والرحمة وانكم منصورون ان شاء الله على كل حال . فأخلصوا لله نيتكم ، وارفعوا اليه رغبتكم ، واصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . » ثم أرسل اليه عمر جيشا مددا له .

الاسلام انتصر بالايمان والاخلاص :

وان نظرة واحدة الى كتاب عمر بن الخطاب ترينا أن الاسلام قد انتصر بالايمان والاخلاص ، وتوفيق الله ، والعقيدة والصبر ، والثقة بالله ، والاتكال على الله والتفاؤل ، والثقة بالنفس . وقد اتخذ عمر الايحاء فى رده على أبى عبيدة بقوله : « انكم منصورون ان شاء الله على كل حال . » مهما يكن عدد المسلمين قليلا ، ومهما يكن عدد المشركين كثيرا . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . » وقد انتصر المسلمون مع قلتهم ، على الروم والمشركين من العرب والفرس مع كثرتهم . وكان من أهم أسباب النصر الايمان بالنصر ، والعقيدة ، والاستعانة بالله ، ويبدو ذلك من رد عمر بن الخطاب ، على أبى عبيدة بن الجراح بما يأتى :

« واعلموا انه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ، ولربما خذل الله الجموع الكثيرة ، فوهنت ، وفلت (١٣) وفشلت ولم تغن عنهم فئتهم شيئا . ولربما نصر الله العصابة القليل عددها ، على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه (١٤) ورجزه » .

ولكى نثبت أن الاسلام انتصر بالايمان والعقيدة نقتبس هنا جزءا من كتاب باهان الى قيصر الروم يصف فيه جنود المسلمين :

« أما بعد ، فانك قد بعثتنى فيما لا يحصيه من العدد الا الله ، فقدمت على قوم فأرسلت اليهم ، وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا . وجعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا . وقد ذعر منهم جندك ذعرا شديدا . . . »

ونشبت بين الفريقين وقعة اليرموك ، وكانت النصرة فيها للمسلمين والهزيمة على المشركين ؛ لان المسلمين كانوا مثالا للشجاعة والايمان ، ولم يبالوا بالاعداء مع كثرتهم . ولما انتهى خبر الهزيمة الى ملك الروم رحل الى القسطنطينية راجعا وخرج من أرض الشام . ولما أشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه فقال : « السلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى أنه يرجع اليك أبدا . »

الايمـــان الكامـــل :

وقد وصف الله المؤمنين ايمانا كامـــلا فى سورة (المؤمنون) بقوله :
« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون (١٥) والذين هم عن اللغو (١٦) معرضون . والذين هم للزكاة فاعلـــون . (١٧) والذين هم لفروجهم حافظون . (١٨) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم (١٩) فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . (٢٠) والذين لأماناتهم وعهدهم راعون . (٢١) والذين هم على صلواتهم يحافظون . »
وفى سورة الحجرات فى قوله عز وجل : « قالت الاعراب (٢٢) آمنا (٢٣) قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا (٢٤) ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم . وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم (٢٥) من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون (٢٦) الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا (٢٧) ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . » فى ايمانهم بالله .
وفى سورة الانفال فى قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكـــر الله وجلت (٢٨) قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون (٢٩) . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٠) . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . »

« اللـــه أكـــــبر » :

الله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وأقوى من كل قوى فى هـــذه الحياة .
اذا سمعت المؤذن يؤذن للصلاة قائلا : « الله أكبر » كان لهاتـــين الكلمتين روعة مؤثرة فى نفسك . واذا سمعت المسلمين يرددون فـــى صلاتهم : « الله أكبر » كان لهذه الجملة أثر شديد فى نفوس من يسمعونها ولا عجب ، فهى تمثل الايمان الكامل بالله وعظمته وحده لا شريك له ، تمثل الايمان الذى ينبعث من قلب المؤمن بالواحد الاحد ، العلى الصمد . وان المؤمن بالله هـــذا الايمان القوى لا يتأثر ولن يتأثر بأى قوة أخرى فى هذا العالم . واذا آمن المسلمون جميعا بالله وعظمته الالهية ، فلن تستطيع أمة أخرى من الامم أن تقف فى سبيلهم ، أو تمسهم بأى سوء .
وبالايمان بالله كان المسلمون أقوياء ، معتزين باسلامهم ، محافظين على دينهم مدافعين عنه بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم .

ما يتطلبه الايمان بالله :

ويتطلب الايمان بالله أن تكون عبادة الله خالصة لوجهه تعالى ، فيصلى المسلم ليبتهل الى الله ، ويتصدق على الفقراء والمحتاجين ارضاء لله ، ويصوم رمضـــان شكرا لله ، ويحج ليذكر الله ، لا يبتغى من هـــذه العبادة جزاء ولا ثوابا ، ولكنه يتقرب بها الى ربـــه ، ويلتمس منه قبولها بروحه وقلبـــه .
يتطلب الايمان بالله الطهارة والصفاء والاخلاص والعمل عن عقيدة ، وترك المظاهـــر الكاذبة ، حتى يكون العمل خالصا لله .
يتطلب الايمان من الاغنياء القادرين من المسلمين أن يطهروا أموالهم

بالقيام بالاعمال الخيرية ، كانشاء مدرسة لتعليم أبناء الفقراء ، أو مسجد لاقامة شعائر الله أو وحدة علاجية لعلاج المرضى ، أو دار كتب صغيرة ليقضى فيها الطلبة بعض أوقات فراغهم فى القراءة والبحث والاطلاع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له . »

وبالايمان بالله انتصر المسلمون الاول ، وسادوا العالم ، ونشروا الحضارة الاسلامية ، والعظمة الاسلامية ، فى البلاد التى اعتنقت الاسلام . وكان لهذه الحضارة أثر كبير فى تقدم العالم ونهضته . ولم يتأخر المسلمون فى العصور الاخيرة الا لانهم خالفوا المثل العليا فى الاسلام ، فوهنوا وضعفوا وتحكم الاستعمار فيهم ، واستغل بلادهم ، ونهب خيراتها لمصلحته . واتخذ كل الوسائل الاستعمارية لنشر الجهل والفقر والمرض والتفرق فيها ، كى يستمروا ضعفاء ، وتستمر سيطرته عليهم .

ولا نبالغ اذا قلنا أن البلاد الاسلامية كانت بلاد العلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، وموئل الحضارة التى لم تعرفها أوروبة الا عن طريق العرب فى الأندلس .

كيف يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ؟

ولكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى وعظمتهم السالفة ، يجب أن يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية ، وأخلاقه العالية ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ويكونوا يدا واحدة ، ووحدة قوية متماسكة متعاونة ، ضد المستعمرين والمعتدين ، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم متحدين بقلوبهم وأعمالهم ، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان ، عندئذ سينتصرون على الاعداء الباغين . ولن يستطيع الاستعمار أن يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده وأسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الأولين .

---

(١) الشملة : كساء يتلفف به .
(٢) نفرت : أسرعت .
(٣) حاشو : أتوا به .
(٤) قمنا : خليقا وجديرا .
(٥) فى جنب المشركين .
(٦) وتبارزهم .
(٧) تستعين .
(٨) انفاذ ومعونة ونصر .
(٩) أجله .
(١٠) الطوبى : الخير والحسنى .
(١١) علماء اتقياء صابرون كثيرون .
(١٢) ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، أى لوقعت أبادتهم لنا منذ زمن بعيد .
(١٣) كسرت وهزمت .
(١٤) عذابه .
(١٥) متواضعون .
(١٦) من الكلام وغيره .
(١٧) مؤدون .
(١٨) عن الحرام .
(١٩) أى السرارى .
(٢٠) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم
(٢١) حافظون .
(٢٢) نفر من بنى أسد .
(٢٣) صدقنا بقلوبنا .
(٢٤) انقدنا ظاهرا .
(٢٥) لا ينقصكم .
(٢٦) الصادقون فى ايمانهم .
(٢٧) لم يشكوا فى الايمان .
(٢٨) خافت .
(٢٩) به يثقون ، لا بغيره .
(٣٠) فى طاعة الله .



للأستاذ محمد عبد الرحيم السمان

كثرت فى الآونة الأخيرة الأحاديث والأقوال حول الربا وهل هناك ربا محرم وربا غير محرم ، وهل الحرام هو الأضعاف المضاعفة والحلال غيره ؟! وهل فوائد البنوك تعتبر ربا لا يجوز أخذه أم هى الربح الحلال نتمتع فيه ؟! وظهرت آراء كثيرة بهذا الخصوص حتى قال أحدهم عن فوائد البنوك برأى أخذه من الواقع فقال : « هل يقال للمسلم اذا أردت ايداع أموالك فى البنك فلا تأخذ عنها أية فائدة بل دع البنك ينفرد بالفائدة دونك ، أهذا هو الحلال أم السفه !! » .

ومنهم من قال ان البنوك أصبحت عماد الاقتصاد والتجارة فلا غنى عنها فان قلنا بتحريم البنوك فمعنى ذلك اغلاقها واضطراب حبل التجارة بل ضرب الاقتصاد أشد الضربات .

وغير هذا كثير ، ولم تظهر مثل هذه الآراء الا بعد أن غزانا الكافر وركز فى بلادنا استعماره العسكرى والسياسى والاقتصادى ، واخيرا وليس آخرا بل هو الأهم الاستعمار الثقافى الذى تغلغل فى نفوس الكثيرين ودعم هذا الاستعمار بالاوضاع التى أقامها حتى أصبحنا نرى ما وضعه فى بلادنا ضرورة قائمة منه نستمد تشريعنا وعليه نبنى حياتنا وكأننا لا بد أن نأخذ التشريع من الواقع ونرتضى به ولو كان سيئا ، لا أن نغير الواقع السيىء فنرفعه الى أعلى المستويات بتطبيق ما أنزل الله !! وعلى كل حال لا بد للاجابة على هذه التساؤلات من استعراض الآيات والأحاديث الشريفة المتعلقة بالربا :

ان أول ما نزل بخصوص الربا هى الآية (٣٩ من سورة الروم وهى مكية) فقال تعالى : وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ، فكان هذا تنفيرا من الربا وتحبيبا فى الزكاة والصدقات وتهيئة للأنفس المؤمنة بأن الربا لا وزن له عند الله سبحانه وتعالى، ولم تنزل آيات التحريم القطعى الا بعد أن قامت الدولة الاسلامية

فى المدينة المنورة برئاسة سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقر المجتمع الاسلامى فى المدينة فنزلت الآيات فى تحريم الربا منها آية (١٣٠ من سورة آل عمران) ويقول الله تعالى فيها : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

وآيات أخرى فى سورة البقرة من (٢٧٥ — ٢٨٠) يقول الله تعالى فيها : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقول الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ونظر بعضهم الى آية ربا الأضعاف المضاعفة فأخذوا منها أن الربا نوعان ربا بسيط أجازوه وربا مضاعف هو المحرم فقط وغيره المباح واستندوا الى نقطتين:
الأولى : أن سورة آل عمران التى فيها آية الربا الأضعاف المضاعفة نزلت بعد سورة البقرة التى فيها : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . فكانت آيات البقرة عن الربا منسوخة بآية آل عمران .

الثانية : وهى مرتبطة بالأولى ، وهى أنه ما دام النهى منصبا على الربا الاضعاف المضاعفة فمفهوم المخالفة يدل على أنه اذا لم يكن الربا أضعافا مضاعفة فلا نهى فيه أى اذا كان قليلا وعلى هذا الأساس أباحوا فوائد البنوك .
وبالنظر الدقيق الى الموضوع يتبين أنه لا يوجد هناك ربا محرم وآخر غير محرم ، فكل الربا حرام قليله وكثيره ، وأن فوائد البنوك هى الربا بعينه وان سموها فوائد . وذلك واضح من التحقيق فى مناطق الحكم الشرعى .

وهذا يتبين بالنظر الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وواقع الربا وتعريفه الشرعى ، أما بالنسبة للآيات والنسخ فان النسخ غير وارد فآية الربا المضاعف وان وصفت نوعا من أنواع الربا الذى كان متبعا فى ذلك الحين ونهت عنه فهى — أى آية الربا المضاعف — ليست كما يقول بعضهم هى آخر ما نزل بخصوص الربا فالعبرة ليست بترتيب السور بل بنزول الآيات وان آخر آية نزلت فى القرآن الكريم بأكمله لا فى الربا فحسب هى قوله تعالى فى سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا .. » فقد أخرج البخارى عن ابن عباس قال : « آخر آية نزلت الربا » وروى البيهقى عن عمر مثله ، وعند أحمد وابن ماجة عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا ، وعن أبى سعيد الخدرى قال خطبنا عمر فقال : « ان آخر القرآن نزولا آية الربا » .

وبعد التدقيق فى آيات سورة البقرة يتبين قطعية تحريم الربا لقطعية الدلالة

وقطعية الثبوت ولنعش لحظات مع هذه الآيات الكريمة والتى كان تحريم الربا فيها مفصلا أيما تفصيل .

ان القرآن الكريم يعرض لنا صورة لا يحب ذو عقل أن يتصور بها ، فهى صورة بشعة ، صورة آكل الربا الذى يقوم كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، وبعد هذه الصورة البشعة ينتقل الى التحريم بعد أن هيئت النفوس لتتقبل ما بعد الصورة البشعة وهو التحريم فقال تعالى بعد ذلك الوصف : « وأحل الله البيع وحرم الربا » والتحريم هنا ورد بصراحة لا لبس فيها ولا تأويل ، فالتحريم كان بلفظ التحريم بذاته وليس بأمر الاجتناب كقوله عن الخمر وغيره ، فاجتنبوه ، أو النهى كتحريم الزنا بقوله : « ولا تقربوا الزنا » ، ثم يأتى القرآن ليعفو عما سلف أى عما سبق نزول هذه الآيات الكريمة : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » ويتوعد من يعود الى الربا مرة أخرى : « ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وأى عذاب أشد من عذاب التخليد فى النار !! . ثم ينتقل القرآن الى معالجة النفس البشرية وحبها للمال فيطمئنها بأن الربا مهما كثر زائل ولا خير ولا ثواب فيه « يمحق الله الربا » وأما الصدقات والاقراض بالحسنى ففيهما الخير ومن أقرض مرتين فكأنما تصدق بمرة واحدة فقال تعالى « ويربى الصدقات » وقال عليه السلام (ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين الا كان كصدقة مرة » .

أما الآية النهائية القطعية وآخر ما نزل فى الربا وفيها الأمر الجازم بترك ما بقى من الربا ، ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » ، ومن صفات المؤمنين اتباع أوامر الله ومن شذ وعصى وأخذته العزة بالاثم فأبى فليأذن بحرب من الله ورسوله تلك الحرب التى لن تتساوى فيها القوى بشىء بل من يقوى على تصور نفسه يقف فى حرب أمام الله ورسوله ؟!! ولا بد أن تأخذ هذه الآيات مأخذها من نفوس المؤمنين الذين سيكفون عن التعامل بالربا بل لا بد عند التوبة من اعادة ما زاد عن رأس المال لأصحابه : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ، لا يظلمون الناس بأخذهم الزيادة عن رأس المال قلت أم كثرت ولا يظلمون بانقاص رؤوس أموالهم مهما كان الانقاص قليلا أو كثيرا ثم يخلص القرآن الى الخلق الاسلامى المتسامح « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وقال عليه السلام : « من فرج عن مسلم كربا فرج الله عنه كربا من كرب يوم القيامة » .

ويجيب القرآن الى النفس المسامحة لمن أرهقتهم الديون وقد لا يستطيعون السداد الا على حساب لقمة العيش فيعدهم بالخير وجعل الخير عاما غير مخصص فتتشوق النفس للتطلع الى المجهول وهو الخير الذى لا بد أن يكون ممن بيده الخير خيرا كثيرا فقال تعالى : « وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

أما بالنسبة للحديث فقد قال عليه السلام : « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

وقال : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل والتمر بالتمر مثلا بمثل والبر بالبر مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل والشعير بالشعير مثلا بمثل

فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد ، وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » .

وقدعرف الفقهاء الربا من هذه الأدلة الشرعية بأنه :

« أخذ مال بمال من جنس واحد متفاضلين » .

وواضح من الأحاديث الشريفة أن الذهب بالذهب وزنا بوزن ومثلا بمثل وكذلك الفضة .... (الحديث) فمن زاد أو ازداد فقد أربى وواضح ؟ من الآية الكريمة : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم » وواضح من تعريف الربا أنه التفاضل .

ومن هذا كله نخلص الى نتيجة أن الربا محرم قطعا بلا أدنى شك قليله وكثيره وأن فائدة البنوك هى نوع من أنواع الربا ، وانه مما لا شك فيه أن البنوك لم تكن موجودة فى العصور الاسلامية فلم يكن هناك رأى واضح فيها (وهى غير موجودة) ولكن النصوص الشرعية واضحة فى أن أية زيادة هى محرمة ، واننا نعلم أنه لا مساغ للاجتهاد فى مورد النص أى أنه ان كان هناك نص صريح فيها والا فالاجتهاد واجب والاجتهاد معروف انه استفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية مما ورد فى الكتاب والسنة ، وأن أولئك المجتهدين العظام لم يحيدوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة فى جميع ما أتوا به ولم يأتوا برأى الا ودعموه بدليل شرعى من الكتاب والسنة ، ولا يكفى فى الاجتهاد الاتيان بالرأى المجرد دون الرجوع الى الأدلة التى هى شرط أن يكون الاجتهاد منها فبدون الدليل لا يحق لنا أن نخرج بنتيجة .

أما من حيث القواعد الشرعية وواقع الربا فان القاعدة الشرعية التى تقول « الغرم بالغنم » يتعارض معها ربا البنوك اذ يتعرض المال المودع فى البنوك لجانب واحد وهو الربح دون الخسارة وهذا هو الفرق بين الربا والربح ، ولا يقال ان الأموال هذه الأيام ليست ذهبا ولا فضة وانما أوراقا نائبة ، والحقيقة انها مقومة بالذهب وقادرة على شرائه بقيمتها الشرائية فلا فرق بين الورق النائب والذهب فأية زيادة هنا أو هناك هى الربا .

أما القول : هل نترك البنك ينفرد وحده بالفائدة !! وهل نستغنى عن البنوك وأصبحت عماد الاقتصاد ؟! فالجواب على هاتين النقطتين يكون فيما يلى :

أولا : لنبحث هل يجوز ايداع الأموال أى ادخارها فى البنوك أو فى غيرها أصلا أم لا يجوز ؟! ومتى يجوز ان جاز ؟؟! « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم .. » الآية ، وفى الآية وعيدان وعيد لمن لا ينفقون فى الجهاد ووعيد لمن يكنزون . والكنز المقصود فى الآية الكريمة هو جمع المال لغير ما حاجة ، فقد أباح الشرع الادخار وهو جمع المال بعضه فوق بعض لحاجة كالزواج أو بناء بيت أو لأداء فريضة الحج .. أما جمع المال لمجرد الكنز فهذا ما حرمه الشرع الشريف وهو الذى يوقف دولاب الحياة الاقتصادية ولا يقال ان البنك يشغل هذه المبالغ المتجمعة لديه فى مشاريع ضخمة لا يمكن للأفراد القيام بها ، فالشركات الشرعية كثيرة وجائزة اذا لم تكن من ضروريات الجماعة ، أما اذا كانت من ضروريات الجماعة فأصلا لا يجوز للأفراد أو جماعة معينة تملكها

وانما تكون ملكيتها للجماعة وقد بينها الرسول عليه السلام من حيث وصفهـا لا من حيث عددها فقال : « الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار » ومع أن هذه الأشياء أسماء جامدة لا يجوز تعديها لغيرها كما يتبادر للذهن ، فقد أباح الرسول عليه السلام فى الطائف وخيبر للأفراد أن يتملكوا الماء عندما لم يكن من مرافق الجماعة ومن هذا يتبين العلة الشرعية وهى كونه من مرافق الجماعة ، وبهذا فكل شىء يعتبر من مرافق الجماعة يعتبر ملكا عاما والجماعة لا تحصر فى الدولـة جميعها وانما فى قرية أو مجموعة بيوت .

أما بالنسبة للبنوك وانها قد أصبحت عماد الحياة الاقتصادية أو على الأصح أصبحت جزءا لا ينفصل من الحياة الاقتصادية التى أوجدها بيننا الكافر بتطبيـق نظامه الاقتصادى علينا والذى لا نزال نسير بموجبه ، وان الاسلام حين يدعو لتحريم الربا وبالتالى اغلاق البنوك التى تعامل به ، لا يتخذ هذا الاجراء وينتهى الأمر والا لكان كمن يهدم بيتا ليلقى بأهله فى العراء دون أن يبنى لهم بيتا غيره والاسلام ما هدم بيتا الا ليبنى بدله بيتا متميزا ، فان البنوك القائمة على الربـا والتى هى جزء من النظام الرأسمالى الذى يطبق علينا ان الغاءها يحتم تطبيـق النظام الاقتصادى فى الاسلام ، والذى يحتم وجود بيت مال المسلمين الذى يسد الحاجات ، فالمحتاج الى الاستقراض أما أن يحتاجه لأجل العيش أو يحتاجه لأجل الزراعة والعمل ، فأما الحاجة الأولى فقد سدها الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية « من ترك كلا فعلينا ومن ترك مالا فلورثته » وأما الحاجة الثانية فقد سدها الاسلام بقرض المحتاج دون ربا وبيت المال يقوم باقراض المال بـلا فائدة بعد التحقق من امكانية الانتفاع بالمال ، وقد أعطى عمر بن الخطاب من بيت المال للفلاحين فى العراق أموالا لاستغلال أراضيهم ، والحكم الشرعى أن يعطى الفلاحون من بيت المال ما يتمكنون به من استغلال أراضيهم الى أن تخرج الغلال فان أمحلت طبق الباب الأول وهو كفالة الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية ، أما معاملات البنك التجارية الغير قائمة على الربا فان الاسلام لا يمنعها وتظل قائمة اذ لا يمنع الا التعامل بالربا فقط فتبقى التحويلات والصرف ما سارت حسب الصرف فى الاسلام ، وبهذا يظهر أن تطبيق جزء من الاسلام وترك جزء آخر فوق حرمته لا يفى بالغرض فلا نحرم الربا فحسب بل لا بد من انقلاب جذرى فى جميع شؤون الحياة والعودة الى الحياة الاسلامية بجميع دقائقها .

. . .

أما من حيث واقع الربا فانه لا يكون الا فى بيع أو قرض أو سلم .

وهو لا يقع فى البيع والسلم الا فى ستة أشياء فقط : « التمر والقمـح والشعير والملح والذهب والفضة » .

أما القرض فيقع فى كل شىء فلا يحل اقراض شىء ليرد أكثر أو أقل ولا من نوع آخر أصلا .

والفرق بين البيع والسلم والقرض : ان البيع والسلم يكونان من نوع بنوع آخر وفى نوع بنوعه أما القرض فلا يكون الا فى نوع بنوعه .

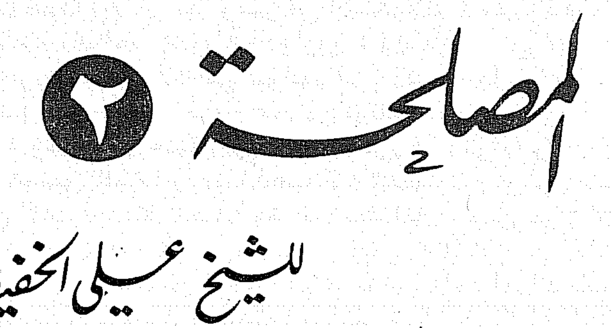
أما كون الربا فى الستة أنواع فقط فى البيع والسلم فذلك لقوله عليه السلام : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل ، والتمر بالتمر مثلا بمثل ، والبر بالبر مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل ، والشعير بالشعير مثلا بمثل ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » ولم يرد أى دليل على التحريم فى غير هذه الأنواع الستة ويدخل فيها كل ما هو من جنسها وينطبق عليه وصفها ، وأما ما عداها فلا يحل .

أما تعليل التحريم فبما أنه لم يرد فلا يعلل أما قياس العلة فغير وارد لأنه يشترط فى قياس العلة أن يكون الشىء الذى اعتبر علة (وصفا مفهما) حتى يصح القياس عليه فان لم يكن كذلك بأن كان اسما جامدا أو وصفا غير مفهم فلا يصلح أن يكون علة ولا يقاس عليه غيره كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة ..) فلفظ الميتة ليس وصفا مفهما للتحريم فلا يقاس عليه فينحصر التحريم بالميتة ولا يقال حرم الربا فى القمح لأنه مطعوم اذ هو ليس وصفا مفهما فلا يعتبر علة للتحريم ولا يقاس عليه ، أما قوله عليه السلام « لا تباع الصبرة من الطعام بالصبرة من الطعام ولا الصبرة من الطعام بالكيل من الطعام المسمى) فان ذلك لا يدل على أن علة التحريم الطعام وانما يدل على أن الربا يحصل فى الطعام وجاء حديث الرسول ليخصص أنواع الطعام التى يحصل فيها الربا (الذهب بالذهب .. الحديث) والدليل على أن هناك أطعمة كثيرة لا يحصل فيها الربا مع أنها من الطعام كالخضروات مثل الجزر والفلفل .. الخ . وعلى هذا فالربا لا يقع فى البيع والسلم الا فى هذه الأشياء وكذلك لا يقال حرم الربا فى الذهب والفضة لأنهما موزونان فتجعل علة تحريم الربا الموزون ولا فى القمح والشعير لأنهما مكيلان فالوزن والكيل جاء فى الحديث وصفا لا علة قال عليه السلام « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن ، والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

أما القرض فيه ربا فى الأشياء الستة وما عداها وفيه وجه واحد فقط وهو اشتراط أكثر مما أقرض أو أقل مما أقرض أو أدنى أى (أردأ جنسا) .

فماذا بقى بعد هذا لاباحة ربا البنوك أو غيرها ، وأى دليل لها يبيحها ، وقد جاءت الآيات والأحاديث شاملة لا مجال فيها ؟ بل لقد وضع الفقهاء بالاضافة الى رد المال الزائد عن رأس المال لأصحابه وضعوا عقوبة التعزير لآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه بالجلد والحبس حتى سنتين فالربا حرام وفوائد البنوك ربا لانها زيادة مشروطة فى المال ومن أكلها فليأذن بحرب من الله ورسوله وقانا الله والمسلمين من الوقوف فى ذلك الموقف وأعاننا والمسلمين على فهم اسلامنا واستئناف تطبيقه فى الحياة .





للشيخ علي الخفيف

بينا فيما سبق أن الفقه الاسلامى ، أو الفكر التشريعى الاسلامى يستهدف مصلحة الأمة ، أو مصلحة المجتمع ، وذلك بمراعاته كل ما يحفظ عليه وحدته وتماسكه ويحقق له أهدافه ويصون علاقات أفراده من الوهن والتفكك ، ويوفر لهم الاستقرار والسلام ويهيىء لهم بالأمن فرص العمل والرخاء فما كان فيه المصلحة له فهو محل طلبه ، وما كان فيه المضرة له فهو محل نهيه ، وأن هذا أمر أجمع عليه فقهاء المسلمين ، وأثبته استقراء الاحكام فلم يلاحظ فيها حكم ضار بالأمة أو يزيد ضرره على نفعه ، وما من حكم جاء به الا كان نفعه أكبر من ضرره .

وكل هذا لم يكن محل خلاف ولا مجال نزاع ، واذا كان خلاف فهو خلاف فى النظر أو التطبيق ومن أجل ذلك اتخذت المصلحة دليلا من أدلة الحكم وأمارة عليه ، واقتضى ذلك بيان المراد منها وكان بيانها وتحديدها بيانا وتحديدا للفكر الاسلامى واتجاهه .

وقد جاء فى التعريف بها ، أنها ما يتحقق به مقصود الشارع من المحافظة على الضروريات والحاجيات والتحسينات التى أشرنا اليها فيما سبق ، وممن ذهب الى ذلك الغزالى فى المستصفى .

وكذلك عرفت بأنها ما يتحقق به مقصود الشارع ، وهو دفع المفاسد عن الخلق ، ولا يكاد يختلف هذا التعريف عن سابقه . اذ أن دفع المفاسد يتحقق بالمحافظة على الضروريات السابقة .

على أن محاولة تعريفها على هذا الوضع ليس بالأمر ذى البال ، اذ أنها من الوضوح بحيث تستغنى عن التعريف ، فالمصلحة مفعلة من الصلاح وهى تكون كذلك اذا تجردت عن المفسدة ، أو كان نفعها أكبر من فسادها ، وليس المراد بها كما أشرنا أن تكون فردية بل المراد منها أن تكون مصلحة كلية ظنية ظنا راجحا على الأقل ، غير معارضة بما يذهب بنفعها وليست اتباعا لهوى أو انقيادا لشهوة ، دون مراعاة لدلالة الادلة ووزنها آمرة كانت أم ناهية ، فان الشارع لا يأذن الا بما هو مصلحة ، ولا ينهى الا عما هو مفسدة ، وفى طاقة العقل البشرى أن يدرك أوجه المصلحة فى شئون الدنيا فيحصلها بأمر الشارع ، وان لم يرد بها نص صريح خاص بها ، لأن الأوامر العامة ، واستقراء الاحكام تدل على أن أحكام الشريعة فى كلياتها وجزئياتها تتجه الى جلب المصالح ودفع المفاسد ، ولذا عمل بها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون ، وجعلوها أصلا من أصول استنباط الأحكام دون انكار عليهم كما حدث من أبى بكر وعمر فى الاستخلاف ، وفيما ذهب اليه عمر من قتل الجماعة بالواحد وتدوينه الدواوين ، واشارته على أبى بكر بجمع القرآن ، ومقاسمته ولاته فى أموالهم التى اكتسبوها بجاه السلطة ، وفيما قرره أيضا من توظيف الخراج على من تركت الأرض المفتوحة فى أيديهم من الذميين ، وكما فعل عثمان فى حمل الناس على قراءة واحدة ، وكما فعل على فى تضمين الصناع وفيما ذهب اليه الفقهاء من فرض الضرائب على المسلمين القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، ومن جواز اتلاف ما يقاتل عليه الاعداء من الحيوان ، وقتل من يتترس به الكفار من المسلمين ، ونفى أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه شرهم ، وتفضيل أحد الاولاد بالعطية لمصلحة معينة كأن يكون مريضا أو محتاجا صاحب عيال ، واكراه المحتكرين على بيع أموالهم بالقيمة ، واجبار ذوى الصناعات عند الحاجة على العمل بأجر المثل ، الى غير ذلك من الأحكام الاجتهادية التى ملئت بها كتب الفقه فى المذاهب المختلفة وليس يعارض ذلك ما تضمنته كتب الأصول من انكار لبعض العلماء ، فانهم انما أنكروا متابعة الهوى وتحكيم الشهوة ، كما يدل على ذلك صنيعهم فى بعض ما أثر من أحكامهم فى كثير من المسائل المليئة بها كتب المذاهب على اختلافها ، اذ بنوا الحكم فيها على مراعاة المصلحة حين اعياهم أن يعثروا فيها على نص .

وانه لمن الأمور المقطوع بها أن الشريعة راعت مصالح العباد ولم تشرع من الأحكام الا ما يوصل اليها ، وأن ذلك أمر استوجبه تعذر استيعاب النصوص لجميع الحوادث والوقائع لعدم تناهيها فكان لا بد من الالتجاء الى أصل صالح للتطبيق فى كل عصر وبيئة ، وهو الأمر بمراعاة مصالح الخلق وذلك ما أشارت اليه نصوص الشريعة ، ودل عليه مسلكها فى تشريع الاحكام ، ونظرها الى دعائم المعيشة واسس الحياة ، وعناصر العمران حين بنت عليه أحكامها ، واسست عليه قواعدها .

ويتبين مما تقدم أن المصلحة التى استهدفها الشارع من شرعه هى المصلحة الجماعية كما نص على ذلك الغزالى .

أما المصلحة الفردية فليس لها اعتبار الا حيث لا تتعارض مع مصلحة الجماعة ، أو تكون وسيلة الى مصلحة الجماعة ، وذلك ما يقتضيه الأمر بالعدل والاحسان فى قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية » ، وما يوحى اليه قوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو **اصلاح بين الناس** » .

فليس من الاحسان اهمال مصلحة المجتمع فى سبيل المحافظة على مصلحة الفرد ، وليس يترتب على ترك مصلحة المجتمع واغفالها الا فساده وانحلاله ، والله لا يحب المفسدين ، ثم لا يعد هذا الا أمرا تعده العقول السليمة منكرا لا خير فيه والله يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ولا يعد الاقدام على مثل هذا الا من قبيل الشح ، وذلك لما فيه من الأثرة المذمومة وقد ذمه الله سبحانه وتعالى فى قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ويؤيد ذلك ما فعله كل من عمر وعثمان رضى الله عنهما دون انكار من الصحابة عليهما حين ضاق المسجد الحرام فى عهدهما ، فقد أرادا شراء بعض ما يحيط به من الدور لادخاله فى المسجد توسعة له فأبى عليهما بعض أصحابها لحاجتهم اليها ، فأخذاه جبرا عنهم بقيمته ، ولم يأبها باعتراضهم وتمسكهم بحقهم ومصلحتهم ، تقديما للمصلحة العامة وايثارا لها على غيرها .

وهكذا كانت المصلحة العامة هدفا للتشريع الاسلامى ، وهذا ما يصور لنا الفكر الاسلامى التشريعى ، فكرا موحد الهدف متعدد النوع والموضوع ، مختلف الأثر .

وجملة القول أن الفكر الاسلامى التشريعى يصوره لنا ويمثله نظر الشارع الى ما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران وتنتظم به مصالح الخلق وترفه به معيشتهم ومن ذلك نظره الى ما يأتى :

أولا : نظره الى ارادة الانسان واختياره ، وما له من حقوق .

يقيد الاسلام ارادة الانسان واختياره وحقوقه بما لا يجعل لهواه ولا لشهواته سلطانا على ارادته ، وتحكما فى اختياره ، وبما لا يجعل لحقوقه طغيانا على حقوق غيره ، ذلك أن للانسان غرائز تتحكم فى ارادته ، وعقلا ينازع ارادته ويعارض هواه ويحاول صده ، وتقييد ارادته حين تتحكم فيه الغرائز ويغلب عليه الهوى لكيلا يتعدى ما تتطلبه الحياة الراضية الحكيمة ، فلا يتجاوز حدود الحق والخير ، غير أن العقل لا يكتب له الظفر فى هذا العراك الا قليلا ، لما للغرائز من قوة تظاهرها فيها الشهوات ، فيضعف العقل أمامها . ولما ينتاب العقل فى كثير من الاحوال من تردد عند حكمه تبعا لاختلاف البيئات والظروف مما يشبه عليه الامور فيعجز عن التميز بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، ولذا كان لا بد له من هاد يهديه السبيل ويمنحه القوة على كبت الغرائز والانتصار عليها وهو وحى السماء ، وما جاء به من هداية وارشاد وبيان لمعنى الحرية المنشودة النابعة من الحكمة الكفيلة باسعاد المجتمع ، المتلاقية مع الحق والعدل والخير ، المانعة من الأثرة والطغيان .

لقد جاءنا الاسلام بشريعة اقامها على الهدى الذى يكفل الحرية لجميع الناس ، ويطلق ارادتهم واختيارهم بلا طغيان لارادة أحد على ارادة أحد آخر ، وبحيث لا يصادم ذلك منهم الحق والعدل ، وبحيث تكون ارادة كل منهم موجهة الى ما فيه الخير والنفع له ولأسرته ولمجتمعه وتلك هى الرحمة

أو أثر الرحمة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ودل عليها قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » أى رحمة للناس جميعا بما فرضته من مساواة وما أقامته من عدل وما أشاعته من خير ، وما أمرت به من صلاح ، وما نهت عنه من ظلم وافساد وما حضت عليه من تعاون ووحدة وكل هذه أمور تحقق معنى الرحمة التى جاءت بها تلك الرسالة ، ولا يتم التراحم فيما بين الناس الا بها ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنزع الرحمة الا من شقى . ويقول : ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء .

ولقد قال له قائل : انا لنرحم أزواجنا ، وذرياتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا أريد ، انما أريد الرحمة بالكافة . والرحمة بالكافه ليست الا بدفع الفساد عنهم ، ولذا كانت المصلحة العامة الشاملة هى غاية الشريعة وكان كل أمر فيه مصلحة عامة أو كانت منفعته أكبر من ضرره مطلوبا لها ، وكل أمر فيه مفسدة أو كانت مفسدته أكبر من منفعته منهيا عنه ، ولذا قال ابن قيم الجوزية : « اذا تأملت شرائع الله التى وضعها لعباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة او الراجحة ، واذا تزاحمت قدم أهمها وأجلها وان فات أدناها ، كما لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصة ، أو الراجحة بحسب الامكان ، وان تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها ، وعلى هذا وضع الشارع الحكيم شرائع دينه ، وهذا ما لا يستريب فيه من له ذوق الشريعة وارتضاع من ثديها وورود من صفو حوضها » (١) .

ومن هذا يبين أن الشارع الاسلامى انما شرع شريعته فجعلها رحمة للناس ، وأن هدفه منها مصالحهم ، وقد اتفقت كلمة جميع العلماء على أنها انما شرعت لهذه الغاية السامية ، سواء منها ما صرحت به النصوص ، وما عرف بواسطة العقل ، وان ما قد تغيب من هذه الأحكام عند النظر حكمته ، فذلك انما يكون عندما يحجبها عن العقل نوازع الاهواء ، ودوافع الشهوات وقد دل على ذلك أنها كلها من عند الله — ان الحكم الا لله — وانه هو الحكيم العادل العليم ، وأنه لا يأمر الا بالعدل والاحسان وليس من الاحسان ولا من العدل أمر الناس بالفساد والضرر ، واذا ما لوحظ أن فى حكم من الأحكام مضرة ، فذلك لأنه قل أن يوجد الخير المحض ، كما يقل أن يوجد الشر المحض ، ولذلك كانت الموازنة بين منافع الحكم ومضاره هى أساس طلبه ، أو منعه ، ولاختلاف الناس واختلاف البيئات والظروف تأثير فيها من ناحية ترجيح المنافع والمضار ، وذلك لاختلاف المصالح بحسب اختلاف الناس ، وعلى هذا الأساس شرعت الحقوق مقيدة بعدم الضرر ، وكان للانسان ارادته واختياره على هذا الوضع ، فلم يكن طليقا طيعا لهواه ، متابعا لشهواته فى أى حق من حقوقه ، ولا فى أى تصرف يتصرفه ، ولا فيما أبيح له من المباحات ، والانتفاع بها ، بل كان كل ذلك مقيدا بهذا النظر وقائما على هذا الأصل ، فاذا ما تجاوز الانسان به دائرة هذا الاصل ، وخرج به غير ه، ووجب بحكم الشريعة أن يحال بينه وبين ما قصد اليه من ذلك ، عن اطاره وتعدى حدوده انقلب استعمالها طغيانا وظلما وتعديا على والزم بتعويض ما ترتب على تعديه هذا من ضرر .

وجملة القول أن النظر الاسلامى يقضى بتقييد كل الحقوق وطرائق الانتفاع بها بعدم معارضتها للحق والعدل ، وبعدم تأديتها الى الضرر ، ولو كان ضررا لاحقا بصاحبها ، ولذا نهى الشارع عن الاسراف فى الأكل والشرب

فقال : « فكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ونهى عن التبذير فقال : «« ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » ونهى عن القتر « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وهكذا .

ذلك هو نظر الاسلام وفكره التشريعى فى مجال بيان الحقوق واستعمالها ، وفيما للأشخاص من حرية وارادة واختيار عند مزاولة نشاطهم المالى والاجتماعى ، بل والسياسى ، نظر يقوم على التقييد بما يحقق المصلحة ولا ينافيها ولا يصادمها ، لا الاطلاق الذى ينحرف بالناس الى ما فيه فساد أمرهم والطغيان على غيرهم ، وانحلال مجتمعهم ، وهو نظر استوجبته أغراض التشريع وأهدافه .

ثانيا : نظره الى المال والملك :

يقرر الاسلام أن جميع ما فى الكون ملك لله تعالى « له ما فى السموات وما فى الارض » (٢) ، « ولله ملك السموات والأرض وما بينهما » (٣) « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله » (٤) ، وهذه الملكية تقوم على الخلق والتسلط والتسخير وهى ملكية لا تنتهى بنهاية ولا يغير من وضعها أى تصرف ولا أية حيازة .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما على سطح الأرض للانسان ، لتكون له منافعه وثمراته ، فكانت مباحة لجميع الناس لكل انسان منها حاجته ، (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) ، وكان للانسان أن ينتفع بذلك فى النطاق الذى يحقق العدالة والمساواة فى الاباحة ، ويحدده نواميس العمران ومتطلبات الاجتماع وكأن الخروج من هذه الدائرة محظور ، ولم يكن لأحد فى الناس اختصاص بشىء الا بما تسبق اليه يده ، ويستولى عليه ابتداء بداعى حاجته اليه واتجاه رغبته نحوه لادخاره خوفا من نفاذه أو عدم وجوده عند الطلب .

ولما كانت رغبات الناس غير محدودة نشأ عن ذلك التزاحم ، وظهرت غرائز الانسان فى حب الاستيلاء والاقتناء والاستبداد وكان ذلك أساس ما يسمى أخيرا بالملك أو التملك ، وقويت هذه الغريزة فيه بسبب ما جبل عليه من حب التغلب والتسلط ، وأصبح لها من القوة على ارادة الانسان ما تتلاشى معه مقاومته ، وما يحمله على ما هو محظور عليه ، من طغيان على غيره ، باستيلائه على ما سبقت اليه يده أو حصوله على ما يستطيع مما هو فوق حاجته ، أو على استئثاره بالمال استئثارا يترتب عليه حرمان غيره وهو مثله صاحب حق فيه ، بحكم الاباحة العامة .

لهذا اتجه الاسلام الى الحد منها ، والتحذير من عاقبتها ، والترغيب عنها بما هو خير للانسان من مطاوعتها ، وذلك فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

فوصفها بأنها متاع الحياة الدنيا ، وهو ذلك المتاع الزائل الفانى ، ودعا الى الاستعاضة عنها بما هو أفضل وخير بقوله : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله» ، وان ذلك جزاء من اتقى فانصرفت نفسه

عن ذلك المتاع الذى يطغى ويوقع صاحبه فيما لا يصلح عليه أمر الناس .
والاسلام كما أسند ملك جميع ما على الأرض من أموال ومتاع لله تعالى ، جعل منافعه للناس جميعا ، فأشركهم فيها ، وجعل الخلافة عليها للانسان ، ليقوم بتدبير أمورها على وفق ما شرع من أحكام ، وما أراد لها من صلاح ، وأمر بالانفاق على الفقراء وأصحاب الحاجات ، وجعلهم أصحاب حقوق فيها .
فقال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وقال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » ، وقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات ومافى الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، وقال : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .
وبناء على ذلك كان انتفاع الناس بالمال كما أشرنا انتفاعا مشتركا مباحا لهم ، لكل منهم حق فيه ، وكان كل فرد على هذا الاساس اذا ما عمل عاملا فى مال الجماعة بالنظر الى اشتراكهم فيه ، وفى مال الله بالنظر الى أنه ملك له تعالى ، وكان عليه وقد كلفه الله بالقيام عليه والعمل فيه لأجلهم أن يعمل فى نطاق ارادته ومواهبه وقدراته « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وكان سلطانه فى عمله وولايته عليه ممتدا ومتسعا بامتداد مواهبه واتساع قدراته ، وكانت ثمرة عمله بحكم ذلك ثمرة لعمل قام به فى مال الله الذى جعل منافعه للجماعة فكان واجبا عليه فيه أن يكون عندما حد له من حدود ، وألا يتعدى بأعماله حدود خلافته موجها عمله الى الخير صارفا ثمراته فى وجوه صرفها ، وأن ينميه بالطرق المشروعة التى لا ضرر فيها لأحد .
وبناء على ذلك يبين أن ملكية الأموال انما تتمثل فى حق الانتفاع بها ، على الوجه الذى قيده به الشارع وحق الولاية عليها بالتصرف والتنمية والاختيار فى وسائل الانماء والتحصيل وذلك بالتزام المشروع منها ، وهو ما يجنبه الاضرار بنفسه وبغيره ، ويحفظ عليه كرامته ، كما وجب عليه بحكم خلافته فى هذا المال عن الشارع أن يكون مسلكه فى التصرف فيه وفى انفاقه سواء على نفسه أو على غيره وفقا لما أمر به الشارع وندب اليه ، وتلك نتيجة طبيعية لثبوت الملك لله تعالى وخلافة الانسان عنه فيه .
وجملة القول أن المال فى نظر الاسلام ضرورى للحياة البشرية ودعامة فى وجود المجتمع ، وبه قيامه وبه حياة الانسان وبقاؤه ، وان سعى الانسان الى تحصيله واقتنائه انما هو بحكم فطرته وغريزته ، لأن فيه رزقه وسد حاجته ، ونظام أمره ، وقد جعلت منافعه وثمراته له فأبيح الانتفاع به لجميع أفراده ، وان الملك فيه لله سبحانه وتعالى بحكم أنه خالقه ، وخالق كل شىء ، فكان كل شىء له ، وقد جعل الخلافة عليه للانسان فكان المال فى يده وديعة وأمانة يجب أن يحافظ عليه من العبث والتبديد والضياع ، وليس له فيه الا أن يقوم عليه خلافة من مالكه الذى جعل له فيه حق الانتفاع مقيدا بما شرع من أحكام أريد بها حفظه وبقاؤه وتنميته وتوجيهه للغرض السامى الذى لأجله خلق ، وهو صلاح المجتمع وسعادته ، وفى الحدود التى دلت عليها أوامره ونواهيه ، المحققة لعدالة توزيعه ، وحسن انفاقه ، وسداد التصرف فيه ، والوفاء بما للناس فيه من حقوق ، والحيلولة دون

الافتتان به ، واتخاذه أداة تسخير وطغيان واستعباد ومصدر اغراء ، وتكبر وخيلاء وعبث بالحقوق ، ووسيلة انحراف فى السلوك ، وافساد فى الأرض واهدار للكرامة ــ يقول الله تعالى : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » ، ويقول « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » ، ويقول : « يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »

ولهذا كانت عناية الشريعة الاسلامية بالمال عناية بالغة فبينت وسائل تحصيله وجمعه وانمائه ، فبنتها على العمل والتجارة والتعاقد والكسب والصدق والرضا ، وجنبتها الخداع والغرر والتدليس والغش والاكراه والضرر ، وألا يباشر الانسان منها الا ما يوصله الى خير نفسه ابتغاء خير المجتمع ، ولهذا نهت عن أكل أموال الناس بالباطل « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم » وعن أخذ أموال اليتامى والضعفاء ممن يكونون تحت الولاية أو الوصاية : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ، وقال : « ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » ، « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقال « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن » .

وحرم الربا لقيامه على استغلال الضعيف وحاجته وحرم تطفيف الكيل والميزان ، كما عنى ببيان مصرفه وطرق انفاقه .

وعلى الجملة فقد كان أساس التشريع فى المال مبنيا على اعتبار أنه لله تعالى ، وأن ليس للانسان فيه الا حق الانتفاع والقيام عليه بطريق الخلافة وعلى ذلك شرعت الاحكام الآتية :

١) ليس للانسان الارادة المطلقة فى التصرف فى المال وتنميته ، بل يجب عليه أن يراعى فى تصرفه الا يؤدى الى الاضرار بنفسه أو بغيره أو بالجماعة .

٢) أنه يجب على الانسان أن يلتزم فى قيامه على المال جميع الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية فى طرق تحصيله وتنميته وحفظه وصرفه ، بحيث يراعى فى ذلك **أولا : عدم** استغلال الضعف البشرى بأية صورة ما ، وعدم اتخاذ المال وسيلة لاهدار الكرامة أو للتحكم ، **ثانيا :** عدم اكتناز المال والحيلولة بينه وبين تداوله للصالح العام ، **ثالثا :** عدم انفاقه فى أى محظور أو فى كل ما من شأنه أن يحط بالفضيلة أو بالخلق ، **رابعا :** عدم الاسراف فى انفاقه ، وعدم التقتير فيه ، وقد قال تعالى : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . **خامسا :** مراعاة مصلحة المجتمع وحقوق أصحاب الحاجة فيه ، وذلك بالتزام حدود الله فيه وفيما دعا اليه من الانفاق فى سبيله .

ذلك هو نظر الاسلام الى المال والى الملكية ، وعلى أسس ذلك جاءت أحكامه وشرائعه الخاصة بشئون المال .

---

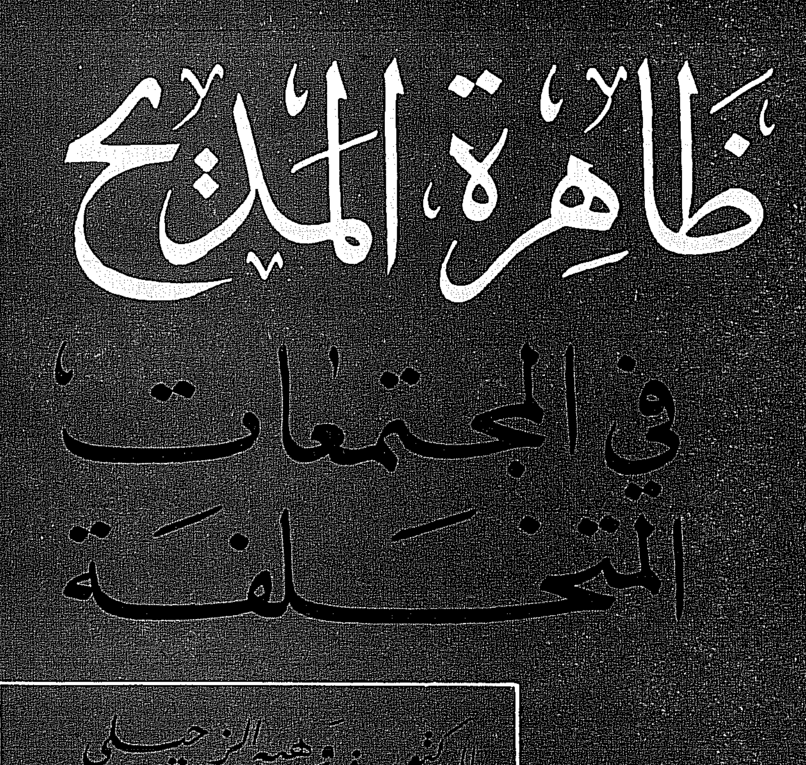
(١) مفتاح دار السعادة .
(٢) ٥٢ / النحل .
(٣) ١٧ / المائدة .
(٤) ١٢ / الأنعام .

مملكة العجائب

للمرحوم الشاعر : محمد الأسير



ضاق على الضرغـــام يوما غابه	وانقطعت من رزقـــه أســـبابه
فقـــال للفهـــد أشر بمــــا ترى	فقـــال ان الخير فى ترك الشرى
فمشيا فى الأرض حتى وجـــدا	غابا حوى من الوحوش عـــددا
وبصرا بالقـــرد وهو يحـــكم ..	يومىء باللحـــــظ ولا يكـــلم ..
منتفـــخ كالليث وهـــو قـــرد	منفـــرد بالحـــــكم مســـتبد ..
له بطـــــانة بهـــا الحمـــار ..	مدخـــر للـــرأى مستشـــار ..!!
والبغل فيها الشـــــاعر المقـــدم	وتنفـــذ الحجـــر الكمى المعلم ..
والبـــوم للبشرى بكـــــل خير ..	والببغـــــاوات لحفـــظ الســـر
والضـــفدع الصـــــداح والمغنى	والـــذئب قـــائم بأمـــر الأفن ..
والجـــرز القـــائم بالاصلاح ..	والهر طاهى اللحم فى الأفراح ..
والدب للـــزمر وقـــرع الطبـــل	والفيـــل للالعاب فوق الحبـــل !
رأى الهـــزبر مـــا رأى فـــزأرا	وقال للفهـــد : أحق مـــا نرى ؟!
فقـــال يا مولاى حـــق صـــدق	جميع ما يفعـــل هـــذا الخلق ..
ليس الـــذى ترى من الغـــرائب	فنحن فى مملكـــــة العجـــائب .



ظاهرة المديح في المجتمعات المتخلفة

للدكتور : وهبة الزحيلي

كثيرا ما يراع الانسان ، أو يمتعض مما يسمعه فى الاذاعات عن رئيس أو قائد أو موظف كبير من عبارات الاطراء والثناء ، والاعجاب والمدح المغالى فيه أو المبالغ به مبالغة شديدة منفرة تضخم الأحداث الصغيرة ، أو تهول الوقائع التافهة أو تمجد البطولات الداخلية البسيطة ، و تصف الامور دعائيا بغير الحقيقة والواقع .

وفى المناسبات التاريخية أو الوطنية تقام الاحتفالات العامة ، فتسمع ما هو أمر وادهى ، اذ يقوم الخطباء بتدبيج المديح لرئيس ما ، كما كان الشعراء فى الماضى يمدحون الخليفة أو الأمير بغية العطاء والمنح والهبات ، الا أن الشاعر فى الماضى كان فى شعره يسجل الاحداث العظام والفتوحات الشهيرة ، لأن الشعر كان ديوان العرب فهو بمثابة الصحف السيارة اليوم ، اما خطيب اليوم دينيا كان أو سياسيا فتراه يغالى برصف كلمات رنانة ، وأوصاف طنانة ، ويمجد خارق التصور والخيال ، بغية المداهنة والمصانعة

والرياء ، فتشيع من ثنايا خطبته رائحة عفنة : هى رائحة التملق والنفاق وحب الظهور .

ومما يؤسف له أن طبيعة العرب تتأثر ببلاغة الكلمة وفصاحة البيان تاركين استبطان الحقيقة ، وسبر أغوار القضية بعقل واع ، وأفق واسع ، ونظر عميق بعيد المدى .

هذا فى الحقل العام ، وكذلك الشأن فى النطاق الخاص ، اذ قد يضم الحضور مجلس من المجالس ، فلا تكاد تسمع فيه الا الاطناب فى مديح شخص حاضر مواجهة ، حتى يتيه غرورا واستعلاء وترفعا ، فيصبح كالطاووس المتبختر ، وتمتلىء نفسه عجبا وصلفا وكبرا ، ثم ينطلق من المجلس وقد داخله الشيطان بوساوس عجيبة ، فيزين لنفسه الفساد ، ويروق له الانحراف وظلم العباد .

وهناك فى مجلس آخر عام أو خاص ترى أناسا لا هم لهم الا الحديث عن أنفسهم وتاريخهم وبيان أفضالهم ومكارمهم ، أو علمهم وأدبهم ، وتجديدهم أو فتحهم فتحا فكريا أو ثقافيا . . . الخ متجاهلين أنهم فيما يدعون مخادعون أو منخدعون فى غالب الأحيان .

فهل فى صنيع كل هؤلاء بمدح الحكام أو الاشخاص أو النفس وجه مقبول ؟ . وهل هؤلاء المادحون مصيبون أم خاطئون ؟ وهل هناك فى الاسلام ميزان دقيق لمعرفة ما يقبل من المديح وما يرفض ؟

وهل يمكننا أن نقارن ما نحن عليه الآن بسيرة قادة الاسلام الأوائل وأبطاله الغر الميامين ، أو بما عليه الناس فى المجتمعات المتقدمة فى الغرب أو فى الشرق ؟

الحق يقال : اننا فى كيل المديح جزافا لأى شخص كان خاطئون عابثون مشوهون لحقائق التاريخ المقبل ، ولسنا فى الاسراف على هذا النحو من الاطراء الا نمثل مظهرا من مظاهر التخلف الذى نعانى منه نحن العرب ، وما أحوجنا الى تقدير ووعى المسئولية العظمى عن أمانة الكلمة التى نطلقها بدون حساب !! فهل لعمرى يستحق أحد من الناس اليوم تقديرا وثناء ، وكرامتنا مفقودة ، وعزنا مسلوب فى دنيا العرب والاسلام ؟

أنمدح هذا أو ذاك ، لأنه فتح بيت المقدس ، وطهر المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة من رجس الصهاينة الأوغاد ، أو حطم الغزاة وطرد المحتلين من بقاع شاسعة فسيحة الجنبات ، وجنات وارفة الظلال ، وممرات خطيرة الاهمية تتدفق بالخيرات ؟!!

وما أزهدنا بحق عن ألقاب وأوصاف وهمية اسمية ، كما كان شأن الخلفاء العباسيين فى دور بدء الانحطاط وما يليه حيث استبد الترك بالخلافة حتى صيروها اسمية فى يد الخليفة وفعلية فى أيديهم ، ورضى الخلفاء بألقاب ضخمة لكنها فارغة فى الواقع مثل « ظل الله » والقاهر والمقتدر ونحو ذلك :

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

حتى ان الخليفة صار كأنه سجين القصر مما جعل شاعرا يقول فى بعض الخلفاء العباسيين :

خليفة فى قفص بين وصيف وبغـــا
يقول ما قالا له كما تقول الببغـــا

فمقتضى المدح الحق أن يكون فى انجاز أعمال كبرى ، وآثار بارزة ، وأفعال تعتبر حدثا تاريخيا هاما ، وتضحيات عظيمة ، وفتوحات مبينة يكون لها وقع الصواعق على النفوس ، وعندئذ نترك تقييم الاعمال والمنتجـات والانجازات للتاريخ وحده الذى هو شاهد عدل وصـــدق على البـــلاد والاشخاص والأمم .

أما تعظيم الأمور الصغيرة أو جعل القيام بالواجب هو الفضيلـــة والنصر ، فذلك من أهم عوامل التردى والتخلف والهزيمة اذ لم يعد يخفى على أحد تلك المظاهر الخادعة والأقوال المزخرفة والدعايات التى بشـم الناس منها ، أو اتخموا بها ، حتى صاروا يتندرون من منجزات بسيطة ، ويسخرون من هول المديح « الفارغ » والثناء « الأجوف » الذى لا رصيد له فى الواقع ، فما أغنانا الآن عن الدعايات الجوفاء أو ما يسمى بحرب الكلام أو حرب الاعصاب لأن الناس سئموا الكلام وملوا من الدعاية ولم يعـد يجدى الا العمل البارز ، واذا قارنا ما نحن عليه بما عند الأمم الراقيـــة المتقدمة علميا وصناعيا وتقنيا لم نجد مثل ذلك المديح الكبير لأعظم رئيس فى العالم ، أو أكبر دولة بين الدول ، أو أجل عالم بين العلماء فى حقل الذرة وغيرها ، بل على العكس من ذلك نجد ضنا شديدا بمنح الألقاب أو اسباغ الصفات ، وهذا هو المستوى المنطقى الصحيح ، لأن أثر السياسى الكبير أو المصلح العظيم أو القائد الفذ ، أو المخترع أو العالم الشهير انما يكمن فى انجازه أو عمله الذى يخلده له التاريخ على ممر العصور .

وكذلك كانت سيرة عظماء الاسلام ، فانهم كانوا أشد الناس زهـــدا فى الثناء والتعظيم والاطراء ، واذا تحقق حدث هام أو فتح جليل بواسطة أحدهم ، اعتبره فخرا وعزا لأمة الاسلام ، وارغاما لأعداء اللـــه ، ونصرا للقيام بالواجب الأقدس الملقى على عاتق كل انسان ، وتوفيقا من اللـــه العزيز باجراء الخير والفلاح على يديه ، فعمل المؤمن كله لله وفى سبيـــل الله باخلاص .

وكان المسلم الذى يمدحه غيره بمدحة عابرة أو كلمة مشجعة يطلب من الله مزيد الالهام بالخير وفعل الحسنات ومضاعفة الجهد بتقديم الصالح من الأعمال لنفسه وأمته ، متأسيا بما علمه رسول الهدى صلوات اللـــه عليه ، قائلا على الفور : « اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » وبذلك لا يغتر بنفسه ، ولا يجعـــل

للشيطان سبيلا عليه ، ولا يقف على درب الكفـــاح ومسيرة النجــاة والصلاح .
ورحم الله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى أوصد الباب أمام المداحين من الشعراء ، فلم يجز أعشى بنى تغلب « النعمان بن يحيى » حين جاءه مادحا ، وقال له : « ما أرى للشعراء فى بيت المال حقا » . وكذلك عدالة كل مسلم وتقواه وايمانه بأن الضار والنافع والممسك والرازق هــو الله تعالى تأبى عليه كلها التزلف للناس قادة وأفرادا ، حكاما ومحكوميــن بالمدح والاطراء : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الأمور تجــرى بالمقادير » وفى ذلك تحقيق للعدالة ، وحث على الاستزادة من الخيرات وفعل المعروف ، وبعد عن الاغترار بالنفس الأمارة بالسوء ، وطلب لمعالى الأمور ، واستشراف لتحقيق غرر الفعال ، والوصول لرفعة الأمجــاد ، والتحلى بأكرم الشيم والخصال .

والمسلم بحق لا ينتظر تقديرا أو يستمنح رضا الا من الله وحده ، فهو الذى يخلد له فى صحائف أعماله ما قام به من خير مقصود لذاته ، لا للرياء ولا من أجل السمعة واذاعة الصيت والشهرة الضائعة وحينئذ يزهـــد الانسان بمديح الناس وثنائهم ، لأن الناس فى الحقيقة لا فائدة ترتجى منهم، بل ولا ثبات لديهم ، فهم كالدهر متقلبون زائلون يذمــون اليوم ما كانــوا يمدحونه بالأمس ، بل قد يمدحون الرجل ويذمونه فى برهة واحدة .
لذلك كان الواجب على الانسان أن يكون الهادى له ميزان دينــه ، ورائده ارضاء ضميره الحر المستقل الــذى يدعوه فى كل آونـــة — ان استجاب اليه — لفعل الخير ، والالقاء به فى البحر فان لم يعرفــه الناس يعرفه الله كما يقول الحكماء فى الأمثال .

وأخيرا بقى أن نعرف ما هو موقف الاسلام فى نصوصه من حكــم المديح مواجهة أمام الشخص ، أو حكم مدح الانسان نفسه .

الاسلام دين الفطرة والملة الحنيفية السمحة ، وميزان الاعتــدال والقصد والتوسط بين الافراط والتفريط ، فالانسان بطبعه ميال الى المدح ، يهتز نشوة وطربا للثناء ، ويتجاوب الاسلام مع هذه النزعة فيبيح المــدح بحق للتشجيع ، وضرب الأمثال ، والحث على الاقتداء اذا كان الممدوح قوى الايمان متزن العقل بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ، فان خيفت الفتنة كـــره كراهة شديدة وكان الى الحرام أقرب، وان كان المدح بغير حق كما فى حالة أدعياء الأفعال الحسنة ، كان مذموما وحراما موجبا للعذاب فى الـــدار الآخرة .

كما يباح للانسان مدح نفسه عند الحاجة الى ذلك بقصد التعريــف للتوصل الى مقصد شريف مشروع كعقد زواج أو تولى منصب سياســى أو دينى اذا كان أهلا لذاك .

وهكذا فالاسلام يقرر أولا استحقاق العقاب لمن يدعى اتصافـــه بأوصاف جميلة وهو منها براء ، وفى القرآن الكريم تحذير شديد للمسلمين بأن يفعلوا مثل هذا الفعل الذى كان يقوم به أهل الكتاب :

« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » فهؤلاء أهل الكتاب حكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك فرح اعجاب وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، وودوا أن يمدحهم الناس بما هم عراة عنه من الفضائل .

روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة ، فكتموه اياه ، وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه ، وفرحوا بما فعلوا ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وسلاه بما أنزل من وعيدهم » أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ، ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب .

هذا سبب نزول هذه الآية ، وقد علق الألوسى على كلام ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن فقال : « ولا يلزم من كلام الحبر على هذا عدم حرمة الفرح ، فرح اعجاب وحب الحمد بما لم يفعل بالمرة ، بل قصارى ما يلزم منه عدم كون ذلك مفاد الآية — كما قيل — وهو لا يستلزم عدم كونه مفاد شىء أصلا ليكون ذلك قولا بعدم الحرمة ، كيف وكثير من النصوص ناطق بحرمة ذلك حتى عده البعض من الكبائر » وقال ابن كثير « ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء — أى أن الآية فى المنافقين — لأنها عامة فى جميع ما ذكر » .

وثانيا — يحرم الاسلام المدح مطلقا سواء فى حضور الانسان أم فى غيبته اذا كان فيه مبالغة وغلو بحيث يجازف المادح ويدخل فى الكذب وهذا التحريم بسبب الكذب ، لا لكونه مدحا . .

ومن أمثلة المبالغة فى المديح وصف شاعر للرشيد بقوله :

واخفت أهل الشرك حتى انه ... لتخافك النطف التى لم تخلق

ومما لا يقبل من المديح إلا بتأويل وتكلف ظاهر بيت فى بردة البوصيرى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا البيت يوهم اللبس والشك الذى لم يكن البوصيرى رحمه الله قاصدا اليه ، لذلك فعلا لسنا مع أولئك الذين شنعوا عليه واتهموه بالشرك لأن قصده تمجيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدير ما أثر عنه فى حدود الشرع مريدا بذلك أن من خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ، ومن خير الآخرة ضرة الدنيا : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى الناس ، ومن علومه عليه السلام المعلومات التى أطلعه الله عليها وهى علوم الأولين والآخرين ، كما يقول الشراح .

قال النووى رحمه الله مبينا حكم المدح فى الغيبة : يستحب المدح

الذى لا كذب فيه اذا ترتب عليه مصلحة ولم يجر الى مفسدة بأن يبلغ الممدوح فيفتتن أو غير ذلك .

ثالثا ـ يحرم المدح فى وجه الانسان اذا كان مدعاة للبطر والأشر والغرور والفتنة والظلم ومنع الحقوق ونحو ذلك بدليل الاحاديث الصحيحة التى تمنع هذا ، منها ما رواه الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال « سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يثنى على رجل ويطريه فى المدح ، فقال : أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل » والاطراء المبالغة فى المدح . وروى الشيخان أيضا عن أبى بكر رضى الله عنه « أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ـ ويحك قطعت عنق صاحبك ، يقوله مرارا ، ان كان أحدكم مادحا لا محالة ، فليقل أحسب كذا وكذا ان كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكى على الله أحدا » . وروى مسلم عن همام بن الحارث عن المقداد رضى الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضى الله عنه ، فعمد المقداد ، فجثا على ركبتيه ، فجعل يحثو فى وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » .

رابعا ـ يجوز المدح أثناء حضور الشخص من أجل التقدير والتشجيع وحث الآخرين على تقليد فاعلى الخير لا سيما فى مجال التعليم كما يقول علماء التربية ، ذلك بكلمات مقتضبة واشارات عابرة اذا كان الممدوح كامل الايمان ، حسن اليقين ، واسع المعرفة والأفق بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه ، فان خيف عليه شىء من هذه الأمور كره مدحه كراهة شديدة كما يقول الامام النووى رحمه الله .

والحقيقة أن أوقع الكلام والثناء عند السامع ما اتصف بالاقتصاد والاعتدال والايجاز والتلميح .

وقد وردت أحاديث نبوية تدل على اباحة المديح فى مثل هذه الحالات منها قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لأبى بكر رضى الله عنه « أرجو أن تكون منهم أى من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها » وقوله عليه السلام له أيضا « ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « ما رآك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » وفى حديث آخر قال : « افتح لعثمان وبشره بالجنة » وقال لعلى كرم الله وجهه « أنت منى وأنا منك » وقال لبلال « سمعت دف نعليك فى الجنة » وقال لأشج عبد القيس « ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله : الحلم ، والأناة » وقال للأنصار : « أنتم من أحب الناس الى » ومن المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم اجاز مديح كعب بن زهير له فى قصيدته اللامية المشهورة وخلع عليه بردته الشريفة .

خامسا — يحرم على الانسان تزكيته نفسه اذا كان بقصد الاعجاب أو الافتخار ، واظهار الارتفاع والتميز على الأقران ، أو الرياء ونحو ذلك لقوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » ، وليس القصد التكليف بعدم الحزن وعدم الفرح ، وانما المراد المنع من السخط حالة الحزن ومن التفاخر حالة السرور : ولقوله سبحانه « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » (١) فان لم يكن كذلك فلا بأس به ، ولا يعد فاعله من المزكين أنفسهم ، كأن يكون فى التزكية مصلحة دينية بأن يكون المزكى نفسه آمرا بالمعروف أو ناهيا عن منكر ، أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما أو مؤدبا أو واعظا ومذكرا ، أو مصلحا بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شرا أو نحو ذلك ، فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره ، كما قرر الامام النووى رحمه الله .

وقال شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام « ولا يمدح المرء نفسه الا اذا دعت الحاجة الى ذلك ، مثل أن يكون خاطبا الى قوم فيرغبهم فى نكاحه أو ليعرف أهليته للولايات الشرعية والمناصب الدينية ليقوم بما فرض الله عليه عينا أو كفاية ، كقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » وقد يمدح المرء نفسه ليقتدى به فيما مدح به نفسه ... وهذا مختص بالاقوياء الذين يأمنون التسميع ويقتدى بأمثالهم » .

هذه هى مبادىء الاسلام فى زاوية حساسة من زوايا المجتمع ، فهل نحن سائرون عليها ، أو أننا نسينا كل شىء عن الاسلام ما عدا الصلاة والصيام والحج ؟

وأخيرا وليس آخرا أقول لعلماء الاسلام بالذات على منابرهم ومكاتبهم ليتق الله كل خطيب فيما يخطب الناس فى المناسبات العامة ، فانه مسئول عن كل كلمة قالها ، وهو موئل الثقة من الناس وقدوتهم ، فاذا مدح قائدا أو رئيسا فليعتدل فى مدحته ، وليحمل المسئول تبعة مسئوليته العظمى وأمانته الكبرى ، ولا يكونن جسرا يعبر عليه لتضليل الناس وتمويه الحقائق ، وليترك كل انسان أعماله لتقدير التاريخ ، وليدع انجازاته العامة أو مقالاته أو مؤلفاته مثلا لتقدير المواطن أو القارىء ولحكمه الصادر من اقتناعه الذاتى ، ولا يغترن أحد بالالقاب والمناصب فليست هى أحيانا عن جدارة ، كما لا ينخدعن أحد بتقديم الكتب وتدبيج المديح فيها للمؤلف من أحد الاعلام ، مثلا ، فتلك مجاملة محضة فى الغالب ، ولنفعل الفعل القوى الصارم ونترك الجزاء لله وحده فهو خير الشاهدين وأعدل الحاكمين .

---

(١) وقيل فى تفسير الآية أيضا : لا يزكى بعضكم بعضا ، والمراد كما قال الالوسى : النهى عن تزكية السمعة ، أو المدح للدنيا ، أو التزكية على سبيل القطع ، وأما التزكية لاثبات الحقوق ونحوه فهى جائزة ، وبهذا الفهم للآية يضاف دليل جديد على حرمة مديح الغير على النحو الذى فصلنا البيان فيه .



أبو بكر الصديق رضي الله عنه

للدكتور : محمد تقي الدين الهلالي

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي في كتابه « تذكرة الحفاظ » ما نصه :

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أفضل الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤنسه في الغار وصديقه الأكبر وصديقه الأشفق ووزيره الأحزم ، عبد الله ابن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي قد أفردت سيرته في مجلد وسط ، وكان أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب أن الجدة جاءت الى أبي بكر تلتمس أن تورث ، فقال ما أجد لك في كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة . فقال : حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيها السدس فقال له هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه .

فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري ، لا سد باب الرواية ، الا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج .

وحدث يونس عن الزهري أن أبا بكر حدث رجلا حديثا فاستفهمه الرجل اياه فقال أبو بكر هو كما حدثتك ، أي أرض تقلني اذا أنا قلت ما لم أعلم ؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور ، والفجور يهدي الى النار .

وقال على بن عاصم وهو من أوعية العلم لكنه سيء الحفظ أن اسماعيل ابن ابى خالد عن قيس ابن أبى حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقول اياكم والكذب فان الكذب مجانب الايمان قلت صدق الصديق ، فان الكذب رأس النفاق وآية المنافق والمؤمن يطبع على المعاصى والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب ، فما الظن بالكذب على الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القائل ان كذبا على ليس ككذب على غيرى ، من يكذب على نبى له بيت فى النار وقال من يقل على ما لم أقل ، الحديث . فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله فكيف حال من تهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ، فانا لله وانا اليه راجعون ما ذى الا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروى الاباطيل والاحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب فحق على المحدث أن يتورع فى ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على ايضاح مروياته ولا سبيل الى أن يصير العارف الذى يزكى نقلة الاخبار ويجرحهم جهبذا الا بادمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتقيظ والفهم مع التقوى والدين المتين ، والانصاف والتردد الى مجالس العلماء والتحرى والاتقان والا تفعل .

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله تعالى عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فان آنست يا هذا من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعا والا فلا تتعن ، وان غلب عليك الهوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب ، وان عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فقد نصحتك فعلم الحديث صلف ، فأين علم الحديث ؟ وأين أهله ؟ كدت ألا أراهم الا فى كتاب أو تحت تراب .

نعم فرأس الصادقين فى الأمة الصديق واليه المنتهى فى التحرى فى القول وفى القبول .

توفى الصديق رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة (٦٣) .

توضيحات وشروح لما تقدم

١ ــ قوله مؤنس فى الغار هذه فضيلة من فضائل الصديق خصه الله بها وذكرها فى كتابه العزيز قال تعالى فى سورة التوبة « آية ٤٠ » ((الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها)) .

قال الامام ابن كثير فى تفسيره يقول تعالى (الا تنصروه) أى تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) أى عام الهجرة لمَّا همَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبى بكر بن أبى قحافة فلجآ الى غار ثور ثلاثة

أيام حتى يرجع الطلب الذين خرجوا فى آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص الى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبى صلى اللـــه عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) اهـ .

فهذه المزية مع شهادة الله له بالصحبة من المناقب التى خصه الله بها ! . .

٢ ـــ قوله وكان أول من احتاط فى قبول الاخبار من المعلوم أن أعـــداء الاسلام الأولين والآخرين حاربوا الاسلام وكادوا له ، فبعضهم حاربه ، بوضع الأحاديث ، وبعضهم حاربه بردها وعدم قبولها ، وكلا الطرفين مذمـــوم ، وخير الامور الوسط ، فأهل الحق يتثبتون فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتى صح لهم حديث عضوا عليه بالنواجذ وتلقوه بالقبول ، واعتقدوه وعملوا بـــه وامامهم فى ذلك الصديق الاكبر ، فلما جاءته الجدة تلتمس نصيبها من الميراث أخبرها أن كتاب الله لم ينص على شىء من الحق لها فى الميراث ، ولم ينف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جعل لها حقا ، ولكن نفى علمه بذلـــك وهذا شأن الأئمة المحققين المتثبتين ثم سأل اصحاب رسول الله هل عندهم علم بأن النبى صلى الله عليه وسلم جعل لها شيئا فلما ثبت عنده الحديث برواية عدلين أعطاها حقها وهو السدس .

٣ ـــ قوله : ما ذى الا بلية الخ . . اذا استمعنا الى الخطباء فى المساجد والوعاظ وما يذكرونه من الاحاديث وينسبونها الى النبى صلى الله عليه وسلم بـــدون عزو الى مخرج ولا معرفة لصحيح أو ضعيف أو موضوع رأينـــا العجب العجاب ، هذا مع أن كتب الحديث الصحيحة التى خدمها الأئمة بالشرح وبينوا صحيحها ومعانيها ميسورة ، فلم يرد الخطباء والوعاظ بل والمدرسون فى المعاهد الدينية أن يكلفوا أنفسهم دراسة تلك الكتب وأخذها من أهلها العارفين بها ونقل الاحاديث منها على نـــور وبصيرة ، بل أقبلوا على دواوين الخطب التى تجمع كل غث وسقيم من فضائل الايام والشهور ، فتجد عندهم لكل شهر خطبة خاصة يجمعون فيها أحاديث واهية أو موضوعة فى فضل ذلك الشهر أو يوم مخصوص منه ، ولا يهمهم من شؤون الناس الذين يستمعون خطبهم الا ذلك ، وقد يذكرون خرافات وأباطيل يقطع كل من يسمعها ببطلانها ، وقد اشتكى الامام الذهبى من أهل زمانه فلو عاش الى هـــذا الزمان لـــرأى ما لم يخطر له ببال فالى اللـــه المشتكى .

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منـــكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم بعضا ليسكت معور عن معور

٤ ـــ قوله : وان غلب عليك الهوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب الخ . . .

ما أصدق هـــذا الكلام وأحسنه فان طالب علم الحديث لا ينتفع بـــه ويكون من أهله الا اذا عقد العزم على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما صح عنه لا يمنعه من ذلك رأى كان من قبل يراه أو كان يراه أستاذه ولا مذهب ينتسب اليه بل ينشد دائما قول القائل

دعوا كل قول غير قول محمد فما آمن فى دينه كمخاطر

بل يجعل نصب عينيه قول الله تعالى « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى .. يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** » ٣١ سورة آل عمران .

٥ ــ قوله : أين علم الحديث وأين أهله ؟ كدت الا أراهم الخ .. هكذا يقول الامام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وكان عصره مشرقا عامرا بحفاظ الحديث ونقاده فقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلانى (كتاب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وذكر فيه جما غفيرا من الحفاظ المحدثين وهو أحد أئمتهم فكيف بزماننا هذا وماذا نقول فيه أكثر من (لا حول ولا قوة الا بالله) .

فوائد من سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الاولى ــ ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر ، وفى الاصابة للحافظ ابن حجر أن عائشة رضى الله عنها قالت : تذاكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ميلادهما عندى فكان النبى صلى الله عليه وسلم أكبر ، اهـ .

ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل أى فى العام الذى غزا فيه الحبش مكة بالفيلة فردهم الله على أعقابهم خاسرين (أنظر تفسير سورة الفيل) .

الثانية ــ صحب النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان أول من آمن به من الرجال على الصحيح واستمر معه طول اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها الى وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج فى الناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، واستقر خليفة بعده ، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله فمن يتنقصه يريد أن يستر الشمس بالغربال فهو

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفى مثله ينشد أيضا

يا ناطح الجبل الراسى بهامته أشفق على الراس لا تشفق على الجبل

وما أحسن قول المتنبى

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها بضريب

الثالثة ــ روى أبو بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين منهم عمر وعثمان وعلى ، وهم الخلفاء بعده وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وحذيفة وزيد بن ثابت وخلق لا يتسع المقام لذكرهم .

الرابعة ــ روى سعيد بن منصور بسنده الى عائشة قالت اسم أبى بكر الذى سماه بــه أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق .

الخامسة ــ كان أبو بكر رضى الله عنه أبيض نحيفــا خفيف العارضين معروق الوجــه ناتىء الجبهــة يخضب بالحناء والكتم ، ــ والخضاب بالحناء والكتم قريب من السواد وهو الى السواد أقرب منه الى الحمرة التى تنشأ عن الخضاب بالحناء ــ وقد صح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالحناء والكتم هو الذى يسمى (بالوسمة) وقد قلت فى ذلك شعرا .

انى لأخضب بالحنــاء والكتم أقفوا بذلك خير العرب والعجم

محمدا وأناسا مــن صحــابته كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

السادسة ــ قال الحافظ فى الاصابة وأخرج أبو يعلى بسنده الى عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفناء البيت اذ جاء أبو بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم **((من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر))** .

السابعة ــ قال الحافظ وقال ابن اسحق كان أبو بكر مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به . فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ا هـ .

قال الحافظ وأخرج أبو داود فى الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم وأخبرتنى عائشة أنه مات وما ترك دينارا ولا درهما .

الثامنة ــ قال الحافظ وأخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسنده الــى هشام عن أبيه قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألفا فأنفقها فى سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب فى الله أعتق بلالا وعامر بن فهيــرة ونذيرة والنهدية وابنتها وجارية بنى المؤمل وأم عبيس .

التاسعة ــ قال الحافظ وأخرج الدار قطنى فى الافــراد من طريق أبى اسحاق عن أبى يحيى قال لا أحصى كم سمعت عليا يقول على المنبر ان الله عز وجل سمى أبا بكر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم صديقا ، انتهى مستفادا من الاصابة .

فوائد أخرى من الاستيعاب للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله

الأولى ــ كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله هذا قول أهل النسب الزبيرى وغيره .

الثانية ــ قال فيه حسان بن ثابت يمدحه :

اذا تذكـــرت شجوا من أخى ثقـــة فاذكر أخـــاك أبا بكر بمـــا فعــلا
خير البريـــة أتقاهــــا وأعدلهـــا بعد النبى وأوفاهـــا بمـــا حمـــلا
والثانـــى التالى المحمـــود مشـــهده وأول الناس مـــن صـــدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغــــار المنيف وقد طاف العدو بــــه اذ صعدوا الجبـــلا
وكان حب رسول الله قد علمـــوا خير البرية لم يعـــدل بـــه رجـــلا

وقال فيه أبو محجن الثقفى :

وسميت صــــديقا وكل مهاجـــــر سواك يســـمى باسمه غير منـــكر
سبقت الى الاســـلام والله شـــاهد وكنت جليسا بالعـــريش المشـــهر
وبالغـــار اذ سميت بالغـــار صاحبا وكنت رفيقـــا للنبى المطهـــــر

قوله ــ وكنت جليسا بالعريش المشهر ، يعنى أن أبا بكر كان يحرس النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش الذى جعل له فى غزوة بدر ، فرافقه فـــى العريش كما رافقه فى الغار .

الثانية ــ سمى الصديق صديقا لمبادرته لتصديق النبى صلى الله عليـــه وسلم فى كل ما جاء به .

الثالثة ــ قال أبو عمر قال صلى الله عليـــه وسلم ((**ما نفعنى مال ، مـــا نفعنى مال أبى بكر**)) معناه ما نفعنى مال مثل ما نفعنى مال أبـــى بكر لأن ما الأولى نافية والثانية مصدرية .

الرابعة ــ قال أبو عمر قال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ((**دعوا لى صاحبى أى أبا بكر ، فانكم قلتم لى كذبت وقال صدقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلام البقرة والذئب آمنت بهـــذا أنا وأبو بكر وعمر**)) .

ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه أن بقرة تكلمت وأن ذئبا تكلم ثم قال لهم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، فشهد لهما بتصديقه فى ما أخبر بـــه من هـــذا الأمر الخارق للعـــادة ، وهذه منقبة لهمـــا ، فويل لمن يعاديهما ويجحـــد فضلهما انه لمن الخاسرين .

الرابعة ــ قال أبو عمر قال عمرو بن العاص يا رسول الله من أحب الناس اليك ، قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها ، وروى مالك عن سالم بن أبى النضر عن عبيد بن حنين عن أبى سعيد الخـــدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا**

خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام لا تبقين فى المسجد خوخة الا خوخة أبى بكر » .

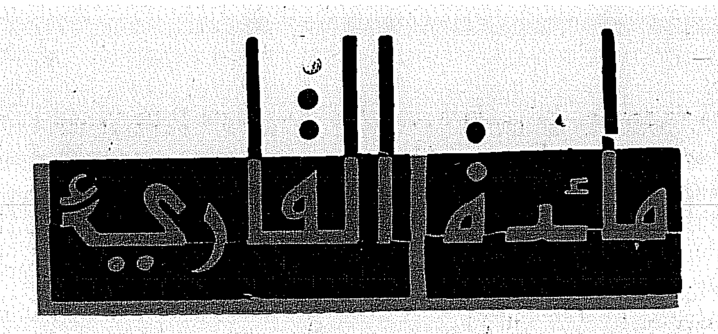
الخامسة — قال أبو عمر روى سفيان بسنده الى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنهم قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا فى المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول فى آلهتهم فبينما هم كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فقاموا اليه وكانوا اذا سألوه عن شىء صدقهم فقالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى قال فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبى بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال (ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) قال فلهوا عن رسول الله صلى اله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر يضربونه ، قالت فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام .

السادسة — قال أبو عمر وروينا من وجوه عن أبى أمامة الباهلى قال حدثنا عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر قال (حر وعبد ، أبو بكر وبلال) قال فأسلمت عند ذلك اهـ .

السابعة — أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعته بالخلافة ، لما ظهر لهم من امارات تدل دلالة قاطعة على أن النبى صلى الله عليه وسلم ارتضاه للخلافة بما تقدم من كونه أحب الناس اليه وتقديمه للصلاة بالناس ، وروى أبو عمر بسنده الى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شىء فأمرها أن ترجع اليه فقالت يا رسول الله أرأيت ان جئت فلم أجدك تعنى الموت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تجدينى فأتى أبا بكر ، قال الشافعى فى هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

الثامنة — قال أبو عمر بسنده ذكره عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليل فدعاه بلال الى الصلاة فقال لنا مروا من يصلى بالناس قال فخرجت فاذا عمر فى الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان مجهرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث الى أبى بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس طول علته حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أيضا واضح فى ذلك .

ومناقب أبى بكر رضى الله عنه أكثر من أن يتسع لها هذا المقال ، والمقصود هنا أنه رضى الله عنه هو أول أهل الحديث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم وينفعنا بمحبتهم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



تفسير آية

روى أن عمر بن الخطاب سأل الناس عن معنى قوله تعالى : ((أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجـرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون)) .

فما وجد أحدا يشفيه ، ففسرها له ابن عباس ، وقال فى بيان معناها : هذا مثل ضربه الله عز وجل ، فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء ، فأفسده كله ، فحرقه أحوج ما كان اليه .

أى الأجلين :

عن سعيد بن جبير قال : قال يهودى بالكوفة . وأنا أتجهـز للحج — انى أراك رجـلا تتبع أهل العلم ، فأخبـرنى : أى الأجلين قضى موسى ؟

قلت : لا أعـلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب — يعنى ابن عباس — فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكـة سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبى اذا وعد لم يخلف .

قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى ، فأخبرتـه ، فقال : صدق وما أنزل عـلى موسى .. هذا والله العالم .

الاسلام عــز

خرج عمر الى الشام ، ومعه أبو عبيدة ، فأتوا مخاضـة ، وعمر على ناقة له ، فنزل وخلع خفيه ، فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته ، فخاض فى الماء ، فقال أبو عبيدة : يا أميـر المؤمنين أأنت تفعل هذا ؟ ما يسرنى أن أهـل البلـد استشرفوك .

فقال عمر : أوه . لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته نكالا لأمة محمد .. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهمـا نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله .

فتنة السراء

قال معاذ بن جبل : أنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى أخاف عليكم فتنة السراء ، وهى النساء اذا تحلين بالذهب ، ولبسن ريط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطاق .

الايمان اولا :

قال جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (إبان شبابنا وقوتنا) فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا .

مفاخرة فى الخير

تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس :

لنا غسيل الملائكة حنظل الراهب ، ومنا عاصم الأفلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .

فقالت الخزرج :

منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

مدارس دمشق

قال النعيمى فى كتابه (الدارس فى تاريخ المدارس) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى .

كان فى دمشق للقرآن سبع مدارس ، وللحديث ست عشرة مدرسة ، وللقرآن والحديث معا ثلاث مدارس ، وللفقه الشافعى ٦٣ مدرسة ، وللفقه الحنفى ٥٢ مدرسة، وللفقه المالكى ٤ مدارس ، وللفقه الحنبلى ١١ مدرسة .

العصفور والفخ

رأى عصفور فخا فى التراب فقال له : من أنت ؟

قال الفخ : أنا عبد من عباد الله .

قال العصفور فلم جلست على التراب ؟.

قال الفخ : تواضعا لله .

قال العصفور : فلم انحنى ظهرك ؟

قال : خشية لله .

قال : فلم شددت وسطك ؟

قال الفخ : للخدمة .

قال : فما هذه القصبة .

قال : هذه عصاتى أتوكأ عليها .

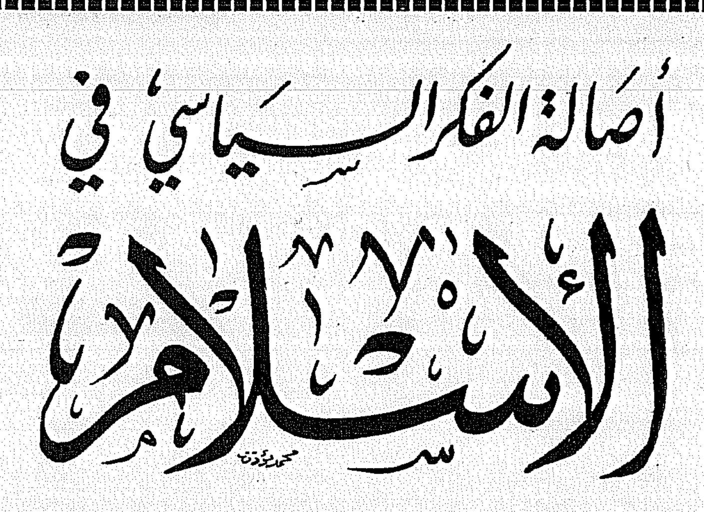
قال العصفور : فما هذه الحبة؟

قال : أتصدق بها .

قال : أيجوز أن ألتقطها ؟

قال الفخ : أن احتجت فافعل .

فدنا العصفور من الحبة فانطبق عليه الفخ ، فقال : اللهم انى أعوذ بك من شخص هذا قوله وذلك عمله .



للدكتور محمد علي حيدر

١ ـ مقدمات الفكر السياسى

عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اجتمع المسلمون أنصارا ومهاجرين ، فى سقيفة بنى ساعدة اجتماعا تاريخيا ، يعتبر أهم اجتماع سياسى ، فى تاريخ الدولة الاسلامية ، لما ترتب عليه من نتائج سياسية ، أبرزها انشاء منصب الخلافة ، وقد دارت المناقشات فى هذا الاجتماع الكبير بحرية وصراحة ، مما يذكرنا بالمؤتمرات السياسية الحديثة ، وما أشبهه بجمعية وطنية اسلامية ، أو مؤتمر سياسى يبحث فى مصير الدولة الاسلامية لقرون تالية .

وقبل أن نتناول هذا المؤتمر بالبحث والدراسة ، لنتعرف على ما دار فيه من أفكار سياسية ، وما أسفر عنه من نتائج على جانب كبير من الاهمية فى حياة الأمة الاسلامية نلم المامة يسيرة بالعوامل التى أثرت فى فكر الجماعة الاسلامية ، وجعلتها تتجه صوب السقيفة لتلتقى هذا اللقاء الكبير .

لعل أبرز العوامل التى أثرت فى الفكر السياسى فى الاسلام بصورة عامة ، وفى اجتماع السقيفة بصفة خاصة يمكن مردها الى هذه العوامل الثلاثة :

أ ــ النظام الذى أوجده الرسول عليه السلام :

لم يعد هناك شك فى أن النظام الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون معه بالمدينة ، يمكن أن يوصف بأنه « سياسى » بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى ، وهذا لا يمنع انه يوصف فى نفس الوقت بأنه « دينى » .

فقد بدأ تكوين الدولة الاسلامية بهجرة النبى عليه السلام وأصحابه من مكة الى المدينة ، بعد أن أيقن المسلمون بأن مكة ليست هى البيئة الصالحة لنشر الدعوة الاسلامية ، ونموها بعد أن حاول المشركون أن يطفئوا نور الله بأفواههم بمحاولاتهم المتكررة للقضاء على دين الله ، وتعذيبهم المسلمين ، ولكن « يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون » .

وفى المدينة ، أخذ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ينظم الجماعة الاسلامية ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأخذ يحدد العلاقة بينه وبين الطوائف الدينية الاخرى ومن ثم أخذت مقومات الدولة الاسلامية تتحقق فى المدينة ، فقد أصبح لها الوطن الآمن فى المدينة وما حولها ، وصار الشعب الاسلامى يتكون من المهاجرين والانصار وأخذ الرسول القائد يحكم بين الناس بالعدل ويسوسهم بكتاب الله ، ولم يعد المسلمون يقفون موقف الضعيف ، بعد أن تحقق لهم الجيش القوى الذى أخذ يدافع عن حقوقهم السليبة ويذود عن كيان الدولة الاسلامية الناشئة .

ولم تكن الدعوة الاسلامية مقصورة على التغيير الكامل فى الوضع السياسى ، بل شملت أيضا الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وظل الرسول وفيا للمبدأ الذى نادى به وهو المساواة والاخوة بين جميع المسلمين .

والحق أن التاريخ لم يعهد مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير ، كما فعل محمد عليه الصلاة والسلام ، اذ لم تتجاوز دعوته ثلاثة وعشرين عاما مجيدا فى حياة الامة الاسلامية ، حتى أقام خلالها نظاما سياسيا ، وأوجد دينا ودولة معا ، وفى هذا المعنى الذى نقصد اليه نذكر بعض آراء المستشرقين :

يقول الاستاذ « نلينو » Nallion « لقد أسس محمد فى وقت واحد : دينا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته . »

ويقول الدكتور شاخت : Schacht على أن الاسلام يعنى أكثر من دين : انه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول الاستاذ « ماكدونالد » Macdonald هنا ــ أى فى المدينة ــ تكونت الدولة الاسلامية الاولى ، ووضعت المبادىء الاساسية للقانون الاسلامى » .

وهذه الدولة الاسلامية المثالية التى تحققت على يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، سوف تكون المحور والأساس الأول الذى تدور من حوله الافكار السياسية ، التى سوف تنطلق بعد وفاة الرسول مباشرة فى اجتماع السقيفة ، وبعد هذا الاجتماع ... لأن هذا النظام حرك مشاعر المسلمين ، اذ لا بد له من قائم يقوم به ، ويحافظ عليه ، وان لا يترك هكذا

دون راع يرعاه ، والا عصفت به العواصف ، وضاع فى مهب الرياح .
وقد وفق المسلمون ، حين أدركوا بفطرتهم السليمة ، أن هذا البناء الشامخ فى حاجة ماسة الى من يرعاه ، ويحافظ عليه ، ومن هذا المنطلق الفكرى بوجوب حاكم يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمته ودولته ، هرع المسلمون الأولون الى سقيفة بنى ساعدة ليختاروا من بينهم أحد المسلمين ليخلف النبى عليه السلام ليحافظ على دين الله ويرعى مصالح الدولة الاسلامية الناشئة .
وهكذا كانت الدولة الاسلامية التى أقامها الرسول عليه السلام على أساس من الدين ، هى المحرك الأول ، والدافع المثير ، فى ايقاظ الفكر السياسى ، الذى تمثل فى اجتماع السقيفة ولكن لا بد من عامل ثان لهذه اليقظة الفكرية ، والذى يمكن أن نطلق عليه بأنه الحرية المطلقة فى التفكير وفى التعبير ، والتى كانت مبدأ هاما من مبادىء الاسلام .

ب ــ حرية التفكير :

وقد ضمن الاسلام وجود هذا العامل باقراره لهذا المبدأ الذى سبق أن أشرنا اليه : وهو مبدأ حرية التفكير للفرد ، فالاجتهاد حق لكل مسلم ، ومبدأ هام من مبادىء التشريع الاسلامى ، واذا كانت أوربا لم تهتد الى هذا المبدأ الخطير الا فى القرن السابع عشر الميلادى ، فان هذا يظهر بجلاء سمو التفكير الاسلامى ، وأصالته ، وسبقه للفكر الاوروبى فى هذا المجال بحوالى عشرة قرون .
فقد ظلت الكنيسة فى أوروبا تحتكر لنفسها ــ من دون الناس ــ فهم النصوص الدينية ولم يكن يحق لفرد من أفراد الشعب أن يكون لنفسه رأيا ، أو يبدى فهما خاصا للنصوص الدينية ، وظلت أوروبا غارقة فى بحار الجهل قرونا طويلة ، حبيسة هذا الاحتكار الفكرى لجماعة قليلة متعصبة ، تمركزت فى رجال الدين ، الى أن كانت ثورة رجال الفكر ، على جمود رجال الدين ، بقيادة « لوثر » وأتباعه ، وكانت النتيجة لهذه الثورة التحررية ، أن تحقق مبدأ الحرية الفكرية فى أوروبا ، وأصبح من حق الانسان ، ان يكون لنفسه رأيا فى أوروبا ، ولكن بعد أن كان هذا المبدأ ، قد ساد أنحاء الدولة الاسلامية بحوالى ألف عام .
وهذه الحرية الفكرية النابعة من تقاليد الاسلام وتعاليمه ، هى التى حركت عقول المسلمين ، الى أن يكونوا لهم آراء سياسية ، وكان اجتماع السقيفة أهم مظهر من مظاهر هذه الاتجاهات السياسية فى فجر الدولة الاسلامية .

جـ ــ تفويض الأمر للأمة :

واذا كان هذان العاملان : الدولة والحرية ، قد أديا دورهما كمقدمات ضرورية للأفكار السياسية التى ظهرت فى اجتماع السقيفة ، الا أنهما كانا فى حاجة ماسة الى تجربة يمتحن فيها المسلمون ، وقد تهيأت لهم التجربة بموت الرسول عليه السلام ، دون أن يحدد لجماعة المسلمين الأسلوب

الذى يسلكونه ، ولا النظام الذى يتبعونه فى اختيار الحاكم من بعده .

وقد ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى محاولتهم معرفة السبب الذى من أجله ترك الرسول هذا الأمر دون أن يحدد الشخص الذى يخلفه فزعم بعضهم أن المرض هو الذى شغله عن هذا الأمر ، وهذا زعم ظاهر البطلان ، ولا أساس له من الواقع ، فلم يكن المرض خطيرا الى هذه الدرجة التى تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الكلام ، فقد أمر رسول الله عليه السلام أبا بكر أن يصلى بالناس ، وكان فى وسعه أن يردف قائلا ، وأنت يا أبا بكر خليفة المسلمين من بعدى .

فلم يكن اذن المرض على هذه الدرجة من الخطورة ، وعلى فرض صحة هذا الزعم ، فلماذا لم يعين الرسول من يخلفه أثناء صحته وقبل مرضه أثناء حياته الطويلة .؟؟

ولم يقف ادعاء المستشرقين عند هذا الحد ، بل ذهب آخرون بأن الرسول ترك هذا الأمر ، جريا وراء التقاليد العربية ، فى اختيار شيخ القبيلة . ولكن كيف يكون الأمر كذلك ، وقد جاء الاسلام لهدم التقاليد العربية ، والقضاء على العادات القبلية ، باحلال النظام الاسلامى محل تلك العادات البالية ، ثم لم يكن هناك تقليد واحد متبع حتى يتبعه المسلمون بل كانت هناك تقاليد عدة فأى التقاليد اذن ترك المسلمون ليسلكوه ؟ لقد كان لكل قبيلة نظامها الخاص فى اختيار شيخ القبيلة ، ومن هنا كان يمكن أن يكون هذا الأمر مثار نزاع طويل بين القبائل العربية المختلفة ، وسببا للفرقة والخصام . وهذا ما لا يرضاه الرسول لأصحابه .

ويبقى بعد ذلك السبب المقبول والمعقول هو أن الرسول عليه الصلاة والسلام ترك تحديد الشخص الذى يخلفه فى أمته ، لايمانه الذى لا يتزعزع فى حق الامة الاسلامية فى تقرير مصيرها بنفسها ، فهو لم يرد للأمة أن تكون حبيسة تقاليد معينة قد لا ترضى عنها الامة فيما بعد ، فنظرا لايمانه بالتطور ، وايمانه بحق الشعب المسلم فى تقرير مصيره بنفسه ، دون أن يكون هناك توجيه من أحد فيما بعد هو ما دفعه الى أن يترك هذا الأمر للأمة وحدها ، كى تواجه قدرها بنفسها حتى تكون لها حرية الارادة ، وحرية التفكير ، وحرية الاختيار ، وكأنه بهذا قد سبق الدساتير الحديثة التى تقرر بأن « الامة هى مصدر السلطات » . وأن ارادة الأمة فوق ارادة الأفراد ، لأن الامة باقية ، والافراد زائلون .

وهكذا كانت الدولة الاسلامية التى أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام والحرية الفكرية التى رعاها الاسلام ، وتفويض الأمر للأمة ، مقدمات طبيعية لاثارة الفكر الاسلامى ، والتأثير فيه . وقد ظهرت آثار هذا فى اجتماع السقيفة ، الذى أثيرت فيه نظريات سياسية لأول مرة فى تاريخ الفكر الاسلامى .

٢ ـ فى اجتماع السقيفة :

لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فى يوم الاثنين

١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية (٨ يونيه سنة ٦٣٢) . وهو فى الثالثة والستين من عمره . ووجد المسلمون أنفسهم أمام مشكلة دستورية خطيرة فان هذه الدولة لا بد لها من قائد يتولى أمورها ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يحدد الشخص الذى يخلفه ، وهنا فكرت الأمة الاسلامية ، وقدرت موقفها وخطورته ، وهديت الى الصواب حين قررت أن لا بد من قائم يقوم بهذا الأمر ، برغم الصدمة ، وفداحة الخطب ، وجلل المصاب .

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى عرف بالشجاعة ، يقول بعد أن سمع صوت النعى « إن رجلا من المنافقين زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ، والله ما مات ولكنه ذهب كما ذهب موسى والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقطع أيدى رجال زعموا أنه مات » ويثوب المسلمون الى رشدهم بعد أن ذاد عنهم أبو بكر الفزع والهلع بخطبته التى قال فيها :

أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وقد بادر أحد الفريقين الرئيسيين اللذين كانت تتألف منهما الجماعة الاسلامية وهم الأنصار الى عقد اجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، ليتشاوروا فى الأمر ، ويختاروا من بينهم خليفة فقال سعد بن عبادة سيد الخزرج « يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة ، فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه الا رجل قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به ، حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الايمان به ، وبرسوله والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر من دون الناس ، فانه لكم دون الناس » .

كانت هذه المقدمات التى أراد بها الأنصار أن يصلوا بها الى النتيجة التى أرادوها وهى أنهم أحق المسلمين بالخلافة ، لاعزازهم الاسلام ، وعظيم جهادهم فى سبيل الدعوة الاسلامية بأنفسهم وأموالهم لأنهم أصحاب الدار ، ويحق لنا أن نقول بأن هذه النظرية — نظرية حق الأنصار — أول نظرية سياسية فى تاريخ الفكر السياسى فى الاسلام .

وانبرت نظرية ثانية لمقاومة هذه النظرية ، وهى الدفاع عن حق المهاجرين واثبات أولويتهم فى استحقاق الخلافة على غيرهم .

فقد علم المهاجرون بنبأ هذا الاجتماع ، فأسرع اليه أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ، ووقف أبو بكر فى الناس خطيبا ، وأخذ يقيم الحجة على أحقية المهاجرين بالخلافة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به ، والمساواة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم له ، وتكذيبهم اياهم ، وكل الناس مخالف لهم ، زاد عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (بغض) الناس لهم واجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الارض ، وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم فى ذلك الا ظالم ، وانتم يا معشر الأنصار ، ممن لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الاسلام : رضيكم الله أنصارا لدينه ولرسوله ، وجعل اليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا من بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، فلا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور » .

وهكذا يسلم أبو بكر ببعض المقدمات التى ساقها الأنصار ولكنه لا يسلم بالنتيجة التى أرادوها لأنفسهم ، وانما يقيم الحجة على أن المهاجرين هم أحق الناس بالخلافة ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وهم الذين هاجروا فرارا بدينهم تاركين أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم الذين جاهدوا وصبروا ، ثم هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لهذا كله يفضلون الأنصار فى دعوى أحقيتهم بالخلافة ، وبهذا تقررت نظرية المهاجرين فى أحقيتهم بالخلافة .

ثم يظهر فى ثنايا هذا الصراع الفكرى نظرية أخرى ثالثة ، دعا اليها « الحباب بن المنذر » وهى امكان اقتسام السيادة ، أو تعدد الامرة بأن يكون هناك خليفتان ، وذلك حين قال : « منا أمير ومنكم أمير » ولكن المجتمعين على اختلاف وجهات نظرهم قد أقروا مبدأ خطيرا وهو عدم اقتسام السيادة .

واستقر الرأى على انتخاب « أبى بكر » لما كان يتمتع به من مكانة دينية عالية ، راجعة الى سبقه فى الاسلام ، وحسن بلائه ، وطول صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وعظيم اخلاصه ورسوخ ايمانه ، ثم الى صفاته الخلقية والعقلية النادرة التى جعلت من شخصه المثل الأعلى للمسلم الكامل .

وعلى هذه الصورة تم انتخاب أبى بكر ليكون أول خليفة فى الاسلام ، وأقر المجتمعون هذا المبدأ فى اختيار رئيس الجماعة أو الدولة ، وهو البيعة ، او الانتخاب ، وأطلقوا عليه لقب خليفة رسول الله الذى يشعر بالعلاقة التاريخية التى تربط الرسول وصحبه .

ومنذ هذه اللحظة التى تمت فيها البيعة لأبى بكر ، أصبح يباشر سلطاته الدستورية من خلال هذا الاجماع الذى انعقد عليه من جماعة المسلمين ، وهنا ينبغى أن نقف لحظة أمام هذا العقد السياسى الذى عقده المسلمون لأبى بكر لنتبين طبيعة هذا العقد السياسى .

فقد اهتم الباحثون بهذا العقد من وجهة نظر القانون والدستور فقرر الدكتور السنهورى : «ان الامامة عقد حقيقى مبنى على الرضا، وان الخليفة أو رئيس الدولة فى الاسلام يتولى السلطة نيابة عن الامة ، أى أن الأمة هى صاحبة السلطة ، تفوض الحاكم فى ممارستها نيابة عنها ، ووفقا لعقد صحيح بينها وبينه » .

فهذا العقد السياسى اذن الذى عقده المسلمون لأبى بكر ، انما هو عقد حقيقى ، نشأ عن ارادات حرة ، وجاء نتيجة لتطور الأحداث التاريخية وليس وليد الوهم أو التخيل أو الافتراض كما جاء فى الفكر السياسى الأوروبى .

ولبيان هذه الحقيقة نذكر فكرة الفلاسفة الاوروبيين حول العقود السياسية لنتبين منها الفرق الكبير بين الفكر السياسى الاسلامى والفكر السياسى الاوروبى .

لعل من أشهر النظريات السياسية التى تعالج موضوع نشأة الحكومات فى أوروبا نظرية الفيلسوف الانجليزى « توماس هوبز » التى جاءت فى كتابه « التنين » عن الحكم المطلق . « والتنين » اسم وحش بحرى ، جاء ذكره فى الكتاب المقدس فى سفر أيوب وقد وصف هذا الوحش الطاغى بأن الرعب يمشى فى ركابه ، ولكنه مع ذلك يخشى من دودة صغيرة ، تتعلق فى زعانف نوع من الأسماك الكبيرة .

ويقول « هوبز » فى مقدمة كتابه « ان دهاء الانسان وتحايله هو الذى خلق هذا الوحش الطاغى الذى نسميه الدولة » فالدولة فى نظره تتمثل فى نظام الحكم المطلق الذى يتمتع به الحاكم مما يجعل الافراد يرهبونه كذلك الوحش الطاغى الذى سمى الكتاب باسمه.وقد تبنى«هوبز» نظريته عن نشأة المجتمع والحكومات ، على أن الانسان أنانى بطبعه وأن هذه الأنانية تجعله لا يفكر الا فى نفسه ، وفى سعادته الفردية ، الا أن العقل ما لبث أن وجد تناقضا بين هذه الأنانية المطلقة التى تدفع القوى الى الاعتداء ، وبين رغبة الانسان فى الاحتفاظ بسلامته وأمنه ، لذلك فكر الناس فى طريقة للخلاص من هذا الصراع الدامى ، واتفقوا فيما بينهم لوضع حد لتنازعهم الأبدى باقامة الحكومات ، فلكى يضمن الفرد الاحتفاظ بتسعة أعشار حريته وأمنه فعليه أن يضع العشر الباقى من حريته بين يدى الحاكم الذى تكون مهمته السهر على مصالح الافراد ، والتدخل بالقوة لمنع أى اعتداء يقع على أحدهم من جاره .

(له بقية فى صفحة ١٠٤)



للأستاذ: محمد الدسوقي

١) الأستاذ عبد الله كنون علم بارز من أعلام النهضة العلمية والوطنية فى المغرب العربى ، وفى مدينة طنجة حفظ القرآن الكريم ودرس على يد والده — فقد كان عالما كبيرا — وعلى غيره من العلماء الفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية ، كذلك درس فى جامعة القرويين — مصدر الاشعاع الفكرى الاسلامى فى المغرب العربى .

٢) وفى نحو العشرين من عمره اشتغل بالتعليم وأخذ مع هذا يكتب فى الصحف نثرا وشعرا يدعو الى الجهاد وتحرير الوطن من الدخلاء ، فاضطهده المستعمرون كثيرا ، وما زاده اضطهادهم له الا قوة فى عقيدته وعزيمة واصرارا على مواصلة العمل من أجل الحرية والاستقلال ، ومن ثم كان أحد المؤسسين للجمعية الوطنية الأولى التى تلت حرب الريف مباشرة ، وتفرعت عنها كتل العمل الوطنى التى انبثقت منها جميع الأحزاب السياسية بعد ذلك .

ولما كانت سياسة المحتل تسعى فى خبث وكيد لبتر صلة المغرب العربى بماضيه ، وتراثه الاسلامى العريق ، فان الأستاذ كنون أسس كثيرا من المدارس والمعاهد القومية ، ليحمى وطنه من مؤامرات الاستعمار التى كانت تمكر فى الظلام لمسخ عروبته وتمزيق وحدته وفرنسة أهله .

٣) وهذا المجاهد الثائر المصلح مفكر اسلامى أصيل ، له نشاط جم فى الدراسات الاسلامية والمباحث اللغوية ، وهوفى ميدان الأدب والنقد أستاذ له مدرسة وتلاميذ ، وكتبه تربو على العشرين ، منها « النبوغ المغربى فى الأدب العربى » فى ثلاثة أجزاء ، وهو تاريخ للحركة الفكرية والأدبية فى المغرب منذ دخله الاسلام حتى الآن ، و « مفاهيم اسلامية » وهو طائفة من الدراسات الاسلامية الرصينة حول بعض المشكلات المعاصرة ،

وكتاب « أدب الفقهاء » وهو دراسة مبتكرة تناولت بالتحليل والتعليق آثار فقهائنا الأعلام فى الأدب واللغة ، وتحقيق كتاب قواعد الاســلام للقاضى عياض ، وكتاب ترتيب أحاديث الشهاب لابن القلعى ، وكتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب للحازمى .

وفضلا عما أسلفت فهو عضو بمجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وقد مثل بلاده فى كثير من المؤتمرات العلمية والأدبية فى البلاد العربية وغيرها ، وقد انتهزت فرصة حضوره مؤتمر المجمع اللغوى فى الدورة الخامسة والثلاثين ورغبت اليــــه فى أن يحدث قراء الــوعى الاسلامى عن الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق ، فأبدى سروره لتحقيق هذه الرغبة ، وبخاصة أن مجلة الوعى أثيرة لديه ، وأنها تحمل رسالــــة الفكر الاسلامى المعاصر الى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

٤) وجلست مع المفكر والمجاهد العربى الكبير أكثر من ســاعتين ، وحدثنى حديثا موجزا جامعا استهله بالكلام عن الاخطار التى تعرض لهــا الاسلام فى ظل الاحتلال ، فقال :

« ما دخل الاستعمار بلدا اسلاميا الا سعى فى حقد ليبعد أهله عــن جوهر اسلامهم ، وعمل فى كيد لتفريق كلمتهم وتوهين قوتهم حتى لا يثــور ضده ثائر ، ولا يقف فى طريق اطماعه مكافح أو مناضل ، وحتى تظل لــه دائما كلمة السيادة والقيادة .

وحين دخل الفرنسيون المغرب العربى أخذوا يفكرون فى وسيلــــة يمزقون بها وحدة هذا الشعب ، ويضربون بها فى الوقت نفسه العقيــدة الاسلامية فى هذا الجزء من الوطن الاسلامى ضربة قاصمة ، وقد تفتق ذهن المحتلين بعد نحو عشرين عاما من تاريخ الاحتلال ، عن ذلك المرسوم الذى وقعه الملك كرها وصدر فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ وعرف باسم « الظهيــر البربرى » وكان هذا الظهير يقضى بفصل السكان الذين هم من أصل بربرى عن العرب ، وأن يكون للبربر مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها البربريــة والفرنسية دون العربية ، وقد نص هذا الظهير أيضا على الغاء المحاكم التى كانت تفصل بين البربر ، طوعا لتعاليم الشريعة الاسلامية وأن تحل محلها محاكم أخرى يكون أعضاؤها من شيوخ البربر والضبــاط الفرنســيين ، وتخضع هذه المحاكم فىأحكامها للاعراف الجاهلية والقانون الفرنســى ، وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .

وكان معنى هذا القضاء على الاسلام ولغة كتابه بين البربر ، واحياء العصبية الجنسية بينهم ، توطئة لأن يستقلوا بحكومة أو دولة ضد الاسلام والعرب .

ولذلك قامت سلطات الاحتلال فور صدور هذا الظهير أو المرســوم بنشاط محموم من أجل تنفيذ نصوصه ، أغلقت الكتاتيب القرآنية ، وأبعدت معلمى القرآن من المناطق البربرية ، وشجعت الدراسات المغرضة التــى ذهبت الى أن البربر أصلهم آرى وليسوا ساميين كالعرب ، وأن قبائل البربر قد نزحت الى المغرب من أوروبا ، فهذه القبيلة من ايطاليــــا ، وتلك مــن أسبانيا .. وهكذا ..

وفى الوقت نفسه انبث المبشرون فى كل قبائل البربر وكانت وسائل الاحسان الى الفقراء وانشاء الوحدات الطبية والمكتبات العلمية ، من أهم

ما لجأ اليه المبشرون من أجل الغاية التى جندهم الاستعمار لها ، الا وهى تنصير البربر والتفريق بينهم وبين العرب .

٥) وقلت للأستاذ كنون : فماذا كان موقف العلماء والشعب من ذلك الظهير ؟

وصمت العالم المجاهد برهة ، وكأنه يسترجع ذكريات عزيزة عليه ، ثم قال :

بعد صدور الظهير البربرى قام العلماء فى المغرب الشيوخ منهم كالشيخ عبد الرحمن القرشى ، ومحمد بن العربى العلوى ، ومحمد غازى ، وابراهيم الكتانى ، والشباب كعلال الفاسى ومكى الناصرى وعبد الله كنون بحركة لتوعية الشعب ، من الوقوع فى حبائل تلك المؤامرة ، واندلعت المظاهرات الضخمة فى كل مكان فى المغرب ضد سياسة المحتل التى تعد من جهة نقضا لعهد الحماية ، ومن جهة أخرى محاولة لتنصير البربر ، وهذا يصادم ما تزعمه فرنسا من أنها دولة علمانية لا دينية .

لقد صدرت أبحاث كثيرة حول هذا الظهير ، وكشفت هذه الأبحاث عن البواعث الحقيقية له ، وأدرك الشعب فى وعى صادق أحقاد المحتل الغاصب واتحدت كلمة العرب والبربر على العمل فى سبيل العقيدة والوحدة ، وبلغ من نفور البربر وثورتهم على ذلك الظهير أنهم قاموا بانشاء المساجد والمدارس الاسلامية ، والكتاتيب القرآنية ، وكانت الأفواج منهم تأتى الى الرباط يطلبون قاضيا شرعيا بدلا من المحكمة العرفية .

ولم تنجح حركة التبشير التى أنفق المستعمر عليها فى سخاء فى أداء مهمتها ، لأنها لاقت هجوما شديدا من البربر ، وكان هؤلاء يضربون المبشرين فى كثير من الأحيان على الرغم من المحاولات المختلفة لارضاء البربر والتقرب منهم ، وأذكر من ذلك أنه كان فى جبال الأطلس مركز للرهبان به مكتبة عظيمة ، وكانت تلقى فيه محاضرات ودراسات يقوم بها محاضرون ممتازون وكانت الضيافة فى هذا المركز مجانا ، لاغراء الشباب وجذبهم ، ومع هذا لم يحقق هذا المركز شيئا ، وقد أغلق بعد الاستقلال ، واشترت مكتبته احدى الجامعات الامريكية .

٦) ومن الجدير بالذكر حول الظهير البربرى أن الشعب انشأ دعاء خاصا كان الناس يتوجهون الى الله به فى كل مسجد بعد كل صلاة ، وهو « اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابرة » .

وكان هذا الدعاء يسبب للفرنسيين ذعرا وخوفا ، وصار اسم اللطيف عنوانا على هذه القضية ، حتى قال أحد القادة الفرنسيين : ما مدى هذا اللطيف ؟ لقد ظنه بعقله المادى القاصر مدفعا ، وما درى أنه فوق ظنه وتصوره ، وأنه القوة التى لا تغلب لأنها تهيمن على هذا الكون وبيدها كل شىء واليها المآب .

وخلاصة القول أن الظهير البربرى قوى الوحدة الوطنية بين العرب والبربر ولم يحقق لفرنسا ما كانت تحلم به وتسعى اليه ، فأكرهت على العدول عنه .

٧ ــ وسألت الأستاذ كنون ، هل كان هذا الظهير الخطر الوحيد الذى تعرض له الاسلام فى المغرب ؟

فقال : لقد تعرض الاسلام لخطر آخر ، تمثل فى ظهور الحركة البهائية وبخاصة فى اقليم الريف ، ومن المؤسف أنها جاءت من طريق الشرق على أيدى بعض المدرسين الذين جاءوا للعمل فى المغرب وأدى اعتناق بعض الرجال لمبادىء البهائية الى مشكلة أثارت الرأى العام وبسببها حملت الصحف الاجنبية على المغرب حملة مغرضة تحركها بواعث الحقد والكيد للاسلام والمسلمين ، وذلك أن كل امرأة كان يعتنق زوجها مبادىء تلك النحلة الضالة فانها كانت تذهب الى المحكمة تطلب الطلاق ، لأن زوجها لا يغتسل من الجنابة ، ولا يعترف بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ، وكانت المحكمة تستدعى الزوج فيعترف أمامها بما قالت زوجه فتأمر بسجنه .

وتطور الأمر بعد ذلك الى حملة ضد البهائيين جميعا ، وكان للعلماء المغاربة دورهم البارز فى مقاومة هذا الانحراف ، وقد أعدم بعض البهائيين ، لاصرارهم على اعتناق تلك المبادىء الفاسدة ، كما سجن كثير منهم ، وقد فر بعضهم الى أوروبا ، وقاموا هناك بضجة خطيرة نجم عنها أن الصحف الفرنسية أخذت تنشر المقالات العديدة تهاجم المغرب وتزعم أن محاكم التفتيش عادت فى القرن العشرين فى هذا القطر . كما نجم عن تلك الضجة أيضا تظاهر عدد كبير من الامريكيين والانجليز ضد المغرب ، وكانت هذه الاعمال فى الواقع لا تحركها الرغبة فى حماية البهائيين ولكن تشويه الاسلام والحملة على المؤمنين به ، وقد لجأت الحكومة المغربية بسبب نشاط البهائيين فى أوروبا وأمريكا الى الافراج عن بعض المسجونين البهائيين ، ثم خفت صوت البهائية بعد ذلك فى المغرب وتلاشى شيئا فشيئا « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

٨ — وقلت للأستاذ كنون يبدو مما ذكرتم أن لعلماء المغرب جهادهم العظيم فى ميدان الدفاع عن الاسلام فماذا عن هذا الجهاد غير ما أشرتم اليه ؟ فقال :

لقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يتعاون مع الصوفية فى المغرب ، ونجح فى هذا بعض النجاح لجهل كثير من الصوفيين أو غرورهم ، وكان على علماء المغرب أن يبينوا للشعب أهداف التعاون بين الاستعمار وحركة التصوف ، وقادهم هذا الى الدعوة الى السلفية عقيدة وعملا ، وكان لهذه الدعوة تأثير على حركة التصوف ، فضعف نشاطها ، كما كان لها تأثيرها على المذهبية فى الفقه ، فقل المتعصبون لها ، وهذا يدل على أن علماء المغرب كانوا متحررين لا جامدين . .

وبعد الاستقلال قام هؤلاء العلماء بتأسيس جمعيات تحمل أسماء مختلفة لكنها كلها تسعى نحو غاية واحدة ، وهى تطوير التعليم الدينى ، والمطالبة بشرعية القوانين وحماية الاخلاق والقضاء على الفساد ومظاهر الانحلال ، وكل ما خلفه الاستعمار من نظم وعادات لا يقرها شرع الله .

وحين حاولت وزارة التعليم المغربية التهوين من شأن جامعة القرويين وتضييق مجال عملها اجتمع علماء المغرب فى صورة مؤتمر عام ، وكان أساس هذا المؤتمر هو وضع نظام هذه الجامعة التى تعد رائدة التعليم الدينى فى المغرب كله .

وكان أهم ما أسفر عنه هذا المؤتمر ، هو انشاء رابطة علماء المغرب ،

وهى تجمع خيرة هؤلاء العلماء ، ولها مهمة مقدسة تتمثل فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، ومقاومة التبشير ، والمطالبة بشرعية القوانين والمحافظة على التعليم الدينى وبخاصة جامعة القرويين ، وأن يظل لها كيانها المستقل فلا تدمج فى الجامعات المدنية ، كما حدث فى بعض البلاد الاسلامية .

والرابطة تعقد مؤتمرا عاما على رأس كل عامين يشترك فيه كل العلماء المغاربة ، ويصدر قرارات وتوصيات داخلية وخارجية على مستوى الاحداث وأذكر مثلا أن الرابطة تدخلت فى قضية باكستان الأخيرة ، وان لها مواقفها الهامة من قضية فلسطين والوجود الصهيونى الدخيل فى الوطن الاسلامى .

وللرابطة جريدة اسمها الميثاق تصدر نصف شهرية مؤقتا ، لنشر أفكارها والدعوة الى مبادئها .. « والجدير بالذكر أن الأستاذ كنون أمين عام للرابطة منذ انشائها » .

٩ — وعن مدى تمسك الشعب المغربى بعقيدته ، قال الأستاذ كنون :

ان قضية الظهير البربرى ، وظهور البهائية فى اقليم الريف بوجه خاص يشيران الى أن الشعب المغربى متمسك بعقيدته الاسلامية ، غيور على دينه ، ومن دلائل ذلك أن الشعب لا يبخل بماله على انشاء المساجد الكثيرة ، فضلا عن جهود وزارة الأوقاف المغربية فى هذا المجال وأيضا فان الكتاتيب التى تعلم القرآن منتشرة فى البلاد ، وهذه الكتاتيب أنشأها الشعب ورعاها وأنفق عليها ، وان كانت وزارة الاوقاف تقدم اليها بعض الهبات ..

ومن مظاهر حرص الشعب على عقيدته وجود الحركات الاسلامية مثل جمعية شباب النهضة الاسلامية التى يرأسها الشيخ أبو بكر القادرى ، وتصدر مجلة الايمان ، وجمعية عباد الرحمن وتصدر مجلة الأمانة .

وبالاضافة الى كل ما سلف ، هناك حركة نشر فى ميدان البحوث والصحافة الاسلامية ، للحديث عن الاسلام والدفاع عنه ، ككتاب « المغرب المسلم ضد اللادينية للاستاذ ادريس الكتانى ، هو دراسة عميقة وافية عن الصراع بين الاسلام ومحاولات تشويهه والكيد له ، ويقظة الشعب المغربى لكل المؤامرات التى حيكت بقصد بتر الصلة بينه وبين ماضيه الاسلامى العريق ، وأما الصحافة الاسلامية ، فهى عديدة ، مثل دعوة الحق ، والميثاق والارشاد ، والايمان ، والامانة والبينة ، وتصدر وزارة الاوقاف مجلة للعامة والمغاربة الذين يعيشون فى غير المغرب وبخاصة فى أوروبا ، ولذا تصدر سهلة العبارة جدا وكاملة الضبط .

ولكن الذى لا سبيل الى انكاره مع هذا ان الزحف الحضارى العصرى على المجتمعات الاسلامية ، وما يحمل معه من الشك ، وقلة المبالاة باقامة الشعائر الدينية ، وما يحرض عليه من مظاهر الانحلال والفساد ، له تأثيره لا فى المغرب فحسب بل فى كل المجتمعات الاسلامية ونحن فى بلادنا نحاول جادين القضاء على كل ما يخالف تعاليم الاسلام ، ومن أجل هذا يطالب علماء المغرب بأن تكون فى أيديهم السلطة ، فالكلمة وحدها لا تكفى ، وكنا حين تشتد الازمة بيننا وبين المسئولين نلجأ الى الملك فكان دائما فى صف العلماء ، صدر قانون خاص بالضريبة على التركات ، وقاومنا هذا القانون ، لأنه يتعارض مع مبادىء الاسلام ، وبلغ الملك ما ندعو اليه

ونطالب به ، فطلب من العلماء أن يجتمع بعضهم مع وزير المالية ، وجرت بيننا وبين هذا الوزير مناقشة حول ذلك القانون واقتنع الرجل ، فالغى قراره .

١٠ — والذى لا جدال فيه أن البلاد الاسلامية قد غزتها مظاهر الحضارة المادية المعاصرة بما تحمله من سموم وأمراض وأن هذا الغزو أخطر عليها من الغزو العسكرى الذى أصيبت به ، لأن ذلك الغزو نشأ عنه فى المجتمعات الاسلامية نوع من الانفصام أو الازدواج بين أبنائها فى طرائق التفكير ومنهج السلوك ، فهناك الذين لا يبالون بتعاليم الاسلام ويذهبون الى أنها لا تصلح للتطبيق الآن ، لأنها ان كانت قد صلحت لعصر الجمل والصحراء ، فلن تصلح اليوم لعصر الصاروخ والفضاء . وهؤلاء يعرفون عن ثقافة غيرنا أكثر مما يعرفون — ان كانوا يعرفون — عن ثقافتنا وتراثنا وحقائق ديننا .

وهناك من يرعى تعاليم الاسلام ويأخذ نفسه بها فى القول والعمل ، ويدرك كل الادراك أن سبيل الخير والنصر لهذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس هو الاعتصام بحبل الاسلام فى كل ما جاء به ، غير أن الذى تأسى له النفس أن هؤلاء لا يملكون من الأمر شيئا فى المجتمع الاسلامى فى كل مكان بوجه عام .

١١ — وقلت للعالم المجاهد ، وماذا ترون لتحرير المجتمعات الاسلامية من هذا الانفصام ، ولتعاون علماء المسلمين جميعا من أجل أن يكون للاسلام ومبادئه الكلمة العليا فى هذا العصر الذى يموج بمختلف التيارات المذهبية والسياسية ، والذى يتصارع فيه أصحاب تلك المذاهب رغبة فى القيادة والسيطرة وبسط النفوذ ؟

وجاء جواب الأستاذ كنون دعوة صريحة الى أن يكون للعلماء دور عملى فى الحياة حتى يؤدوا رسالتهم على أحسن وجه وأشرف غاية ، فقد قال :

ان انقاذ المجتمع الاسلامى من هذا الانفصام الذى أوهى بين المسلمين روابط الوحدة وعناصر القوة هو أن يلتزم الساسة والقادة فى كل البلاد الاسلامية بما دعا اليه الاسلام وسبيل ذلك أن تكون لعلماء المسلمين مشاركة فى الحياة السياسية وتمثيل فى المؤتمرات واللقاءات التى تتم بين قادة العالم الاسلامى ، وأذكر مثلا مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى المغرب ، لماذا لم يمثل فيه العلماء المسلمون ، وبخاصة الذين يهتمون منهم بالقضايا الاسلامية المعاصرة ؟ .

ان الكلمة وحدها لا تكفى ونحن فى زمن يزع الله فيه بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ولكنا نريد السلطان الذى يخشى الله فى الرعية حتى يحملها على الجادة السوية وحتى لا يحيد عن شرعة العدل ودعوة الحق ، ومن ثم كان لا بد أن يشارك العلماء فى الحياة وألا تكون مهمتهم قاصرة على القول دون العمل والتنفيذ .

١٢ — ولكن كيف يصل العلماء الى هذا ، وأنى لهم أن يفرضوا رأيهم ويشرفوا على الأخذ به وعدم التفريط فيه ؟

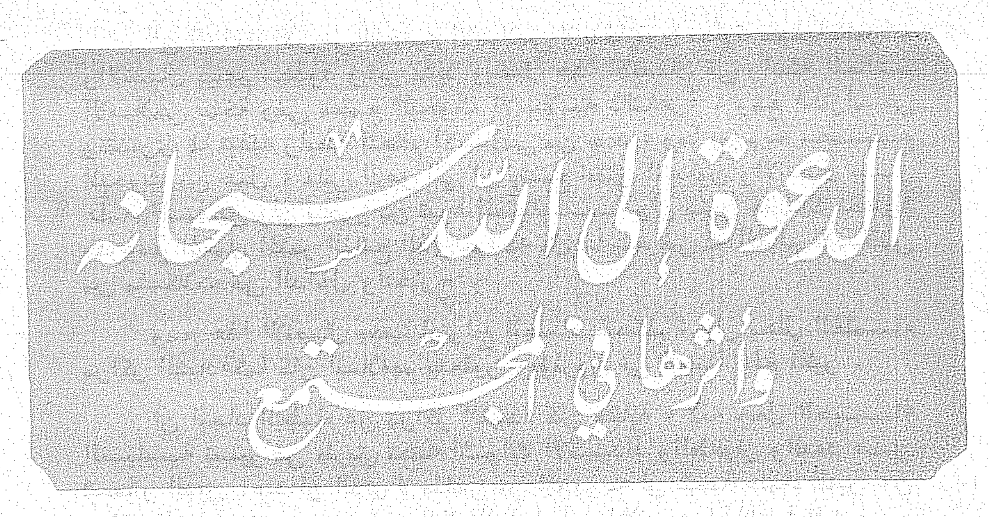
ان العلماء الآن فى المجتمع الاسلامى لا يتعاونون تعاونا مجديا مثمرا . والاتصال بينهم محدود وغير مفيد ويتمثل هذا الاتصال فى رابطة العالم الاسلامى بمكة وفى مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، ومع احترامى وتقديرى لما تبذله رابطة العالم الاسلامى من جهد ، وما يقوم به مجمع البحوث من عمل ، فانى أدعو الى أن يتسع نطاق التعاون والاتصال بين علماء المسلمين وأن يتحرر من قيود السياسة وأن يكون هناك تخطيط مدروس للعمل المثمر النافع الذى يواجه كل ما يتعرض له العالم الاسلامى من مشكلات فى الداخل والخارج .

ومع هذا الاتصال يجب امتزاج العلماء بالحكام ، وأن يحتل العلماء مراكز القيادةكما كان أسلافهم يفعلون ويؤثرون فى الحياة أبلغ تأثير .

ان ابعاد العلماء عن مراكز القيادة كان جناية ، لأنه جعل الحياة السياسية تسير فى طريق تحفه أشواك الاستبداد والطغيان والبعد عن شعائر الدين ، بيد أن الذى لا مناص من الجهر به أن تنحية علماء الدين عن مراكز القيادة تقع تبعته على هؤلاء العلماء أيضا لأنهم بما أخلدوا اليه من الدعة وبما فرطوا فى حق أنفسهم من الرضا بما لا يجدر بهم ، وبما انصرفوا اليه من دراسات لا تيسر لهم الانفتاح الفكرى والابتكار العلمى ، جمدوا وتخلفوا ، ولم يستطيعوا أن يؤكدوا صلاحية الاسلام لكل زمان وكل مكان .

ان الاسلام دين العلم ، ولكنه العلم القائم على الايمان ، ودين الحضارة ، ولكنها الحضارة التى تحترم الانسان فلا تفرق بين الناس بسبب الألوان والاجناس ، وقد أنقذ هذا الدين البشرية منذ أربعة عشر قرنا من وهدة التخلف الدينى والفكرى والخلقى وهو صالح اليوم كل الصلاحية لانقاذها مرة أخرى من هذه الحضارة المادية التى امتهنت كرامة الانسان على الرغم من مظاهرها الخلابة ، ومبتكراتها العلمية الرائعة . ومن ثم تبدو مسئولية علماء الاسلام جسيمة ، ورسالتهم اليوم خطيرة ، وعليهم أن ينهضوا بها نحو المسلمين والبشرية كلها حتى يعود للحياة أمنها وكرامتها وحريتها .

١٣ ــ وبعد فانى أقدم للعالم والمجاهد الكبير الاستاذ عبد الله كنون أعمق الشكر على حديثه القيم الذى القى ببعض الضوء على الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق والذى أشار فيه الى رسالة العلماء فى العصر الحديث ، وأرجو أن تتاح فرصة أخرى للحديث عن آثار الأستاذ كنون العلمية ، فهى تمثل انتفاضة الفكر الاسلامى المعاصر فى جزء عزيز من الوطن الاسلامى الكبير .



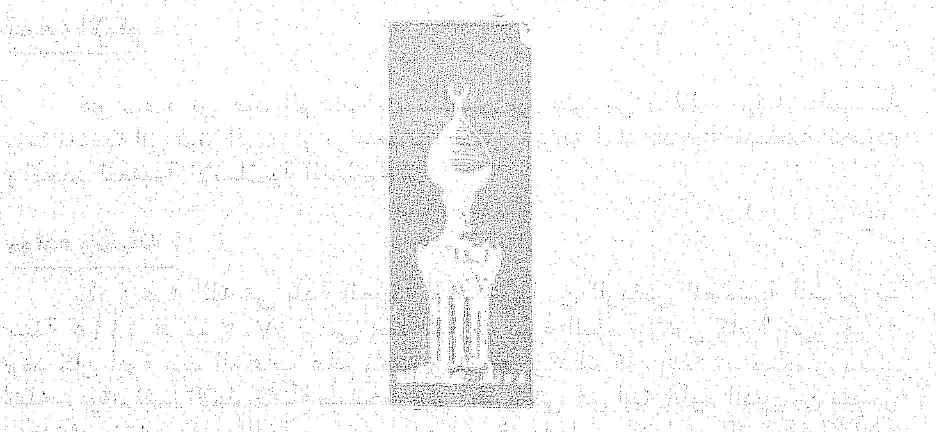
للشيخ عبد العزيز بن باز

لقد رفع الله شأن الدعاة اليه وأبلغ فى الثناء عليهم حيث يقول سبحانه : (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين**) ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة الى الانطلاق فى سبيلها بكل نشاط وقوة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى — رحمه الله — أنه تلا هذه الآية الكريمة (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله**) الآية . فقال : هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته ، وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله . انتهى .

ولا ريب أن الرسل — عليهم الصلاة والسلام — هم سادة الناس فى الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التى ذكرها الحسن — رحمه الله — وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال امامهم وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب — صلى الله عليه وسلم — الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة الى ربه أتم صبر وأكمله حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته فى دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا فى الدعوة ونشروا لواء الاسلام فى غالب المعمورة لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل فى جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها فى الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح وبذلك انتصروا على

أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق فى كل ميدان وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التى ذكرها الحسن وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة الى الله وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذى دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التى وصف بها الحسن الدعاة الى الحق ، وقد صح عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : **(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)** وقال — عليه الصلاة والسلام — : **(من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)** وقال لعلى — رضى الله عنه — لما بعثه الى خيبر : **(فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)** وفى هذه الأحاديث وما جاء فى معناها تنبيه للدعاة الى الله والمجاهدين فى سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة الى الله سبحانه هو هداية البشر واخراجهم من الظلمات الى النور وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق الى عز الايمان ورفعة الاسلام وعبادة الاله الحق الواحد الأحد الذى لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه سبحانه وتعالى وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية.

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الاسلام التى يشهد له بها أهل الانصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذى جعل هذا الدين الاسلامى دين رحمة واحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا الى ذلك من سبيل فسبحان الذى شرعه ما أحكمه وأعدله وما أعلمه بمصالح عباده وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة ، فيا أيها الأخ المسلم ، ويا أيها العاقل الراغب فى الحق تدبر كتاب ربك وسنة نبيك — صلى الله عليه وسلم — وادرس ما دلا عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفى قلبك ويروى غلتك ويشرح صدرك ويهديك الى سواء السبيل .



الإمام الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

للأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد

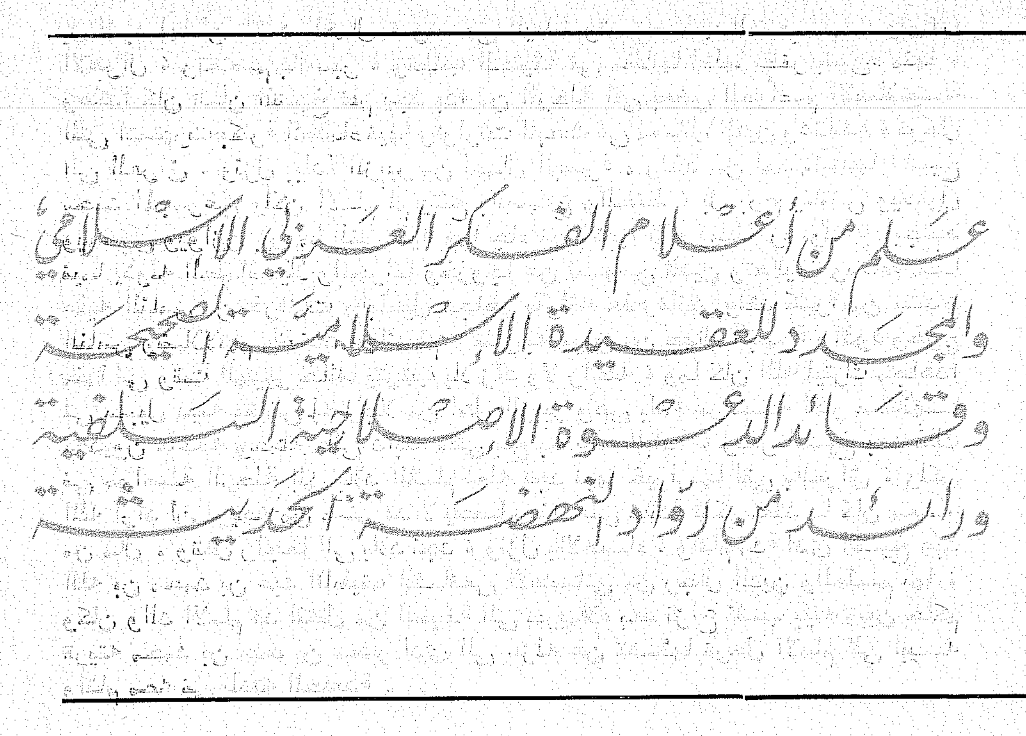
ان دراسة مناقب الاعلام تملأ الاجيال المتأخرة روحا تقدمية ونفسا طموحة الى العلا شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسنة ، وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (كنا أذل أمة فأعزنا الله بالاسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره اذلنا الله) لذلك يطيب لى أن أقدم هذه السيرة المعطرة لنابتة البلاد العربية ولأجيالها الصاعدة خصوصا ولكافة المسلمين عموما لتكون حافزا لهم على التمسك بدينهم وعقيدتهم خالصا من شوائب الشرك والبدع .

نسب الامام :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها الى تميم الى نزار بن معد بن عدنان ، وهو امام الدعوة السلفية الحديثة والمجدد للعقيدة الاسلامية السليمة .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله فى بلدة العيينه بنجد قريبا من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥ هـ — ١٧٠٣ م فى بيت توارث بنوه العلم والتقى كابرا عن كابر ، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها وكذلك كان جده — سليمان من قبله . وقد نشأ الامام نشأة صالحة ، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما ، وأكثر من القراءة والاطلاع



على الكتب المتداولة بين الناس فى ذلك العهد ، وكان ذكيا المعيا ينفذ بذهنه وعقله الى ما وراء النصوص المدونة ، ويميز بين الحق منها والبهرج فلم يجد فيها قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم ، فأعجب بهـا ومال اليها ، ورأى كثيرا مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه فى معتقدات قومه وأعمالهم لا سيما العامة منهم فهو اذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما وان آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الاثـر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته .

رحلاته العلمية :

وتطلع الشيخ الى أفق علمى أرحب فذهب الى مكة المكرمة حاجا لله تعالى ، وملتمسا فيها من العلماء من يشفى غلته ويروى ظمأه ، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل الى المدينة المنورة ، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن ابراهيم بـن سيف وهو عالم من أهالى المجمعة بنجد أقام بالمدينة ، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه كما أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندى .

رحلة الإمام خارج الجزيرة :

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء ،

بل لا بد لها أن تنشد الكمال ، وتسعى اليه ، وتستعذب الصعاب ، وتركب الاهوال ، وتعتصم بالصبر ، وتطلب الحقيقة فى مظانها لعلها تظفر بشىء منها ، وهكذا كان شأن الشيخ فلم يجد بدا من الرحلة الى بعض العواصم الاسلامية التى اشتهرت بكثرة العلماء فيها وتوارثت البحث فى مسائل الدين وعقائده ، فرحل الى العراق ، ونزل ببلدة الزبير من أعمال البصرة ، وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ محمد المجموعى ولكن الامام لم يقنع بالسماع والحفظ ، بل برح يناقش ويحاول ويمحص ويوازن بين ما يلقى اليه وما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، فيجد فيما يقوله العلماء ميلا وانحرافا وخروجا عن نصوص الدين وتعاليمه وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل فجاهر بآرائه هذه فأنكر ونقد كثيرا من بدع الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم ، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه وخرج منها فى وقت الهجير خائفا يترقب بلا زاد ولا راحلة ، وما كان الله ليترك مجاهدا فى سبيل دينه فقيض له رجلا من أهل الزبير وهى بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون فأعانه وحمله على دابته حتى بلغ به هذه البلدة ، وفكر الشيخ بعد ذلك فى مواصلة الرحلة الى بلاد الشام لعله يجد فيها خيرا مما لقى بالعراق ، ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ففقد ما كان معه من مال . وقفل راجعا الى بلاد نجد ، ونزل بالاحساء ، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى الاحسائى من رجال الدين والعلم بها ، وكان والد الامام قد انتقل من العيينة الى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن حمد بن معمر أدى الى عزله عن قضائها فرحل الامام الى أبيه وأقام معه فى بلدته الجديدة .

تنفيذ الدعوة ومراحلها :

بدأ الشيخ دعوته فى حريملاء ولم تلق هناك نجاحا يذكر ، ولكنه لم ييأس ولم يقنط وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده فى عام ١١٥٣ هـ — ١٧٤٠ م وهنا أعلن دعوته وجد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتبعه بعض أهلها وأيدوه ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون فى الارض فسادا ويجاهرون بالفسق والمعاصى ، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم وتنفيذ حكم الشرع فيهم ، فأضمروا له البغضاء ، وحاولوا الفتك به ، فحماه الله منهم ، وردهم على أعقابهم .

ولم يطب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث فانتقل الى مسقط رأسه بالعيينة ، وتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالترحيب وعاونه فى دعوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصا بعد أن أصهر الشيخ الى أسرته ، وقد تبعه كثير من الاهالى ، ثم شرع فى تنفيذ مبادئه عمليا فأستأجر أناسا ليقوموا بقطع الاشجار التى يعظمها العامة ، ثم خرج بنفسه الى كبراهن فقطعها .

ولكن أمر هذه الاشجار كان هينا ، وهناك ما هو أشد منه وأخطر ولا بد للشيخ أن يمضى فى طريقه بلا وجل ولا تردد فاتجه بذهنه الى قبر (زيد بن الخطاب) رضى الله عنه بترية (الجبيلة) وأعد العدة لهدمه واستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له ، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله فتقدم الشيخ وهدمه بنفسه حتى أتى عليه ومضى فى سياسته العملية « فأقام حد الزنا ونفذ أحكام الشريعة » ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيبته وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين .

مناوأة الدعوة :

وبينما الدعوة تشق طريقها الى القلوب الصلدة فتصدعها والى العقول الضالة فتردعها والى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها وتجلو صدأ الجهالة الذى ران عليها ، نرى محمد بن عريعر الحميدى حاكم الاحساء والقطيف ينذر عثمان بن معمر بالثورة عليه وقطع الخراج عنه ان لم يقتل الشيخ ويقضى على دعوته ، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلدته ، ويوعز الى أحد رجاله بقتله اذا صار بين العينية والدرعية ، ويهم الرجل بتنفيذ ما أمر به فيأخذه الرعب والفزع ولا يستطيع أن يمد له يدا .

آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه :

نزل الشيخ بالدرعية فى عام ١١٥٨ هـ فى بيت رجل يسمى محمد بن سويلم العرينى فآواه وأكرم وفادته ، ولكنه كتم أمره خوفا من بطش الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الاول ورجاله ظنا منه أن الامير يأبى تعريض بلاده لانقسام دينى وفتنة تعكر صفو الأمن فيها وأخذ الشيخ يبث دعوته سرا ، ثم لم يلبث أن جهر بها حين استطاع أعوان الشيخ أن يقنعوا الامير بمناصرته وتأييده فأقبل عليه وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء ، ومن ثم تظاهر وتضافر الدين والسياسة ، ودخلت الحركة فى طور جديد اشتد فيه ساعد الشيخ ، وتابعه أهل الدرعية وكانوا له أنصارا وأعوانا وبدأ الشيخ يراسل ذوى الرأى فى البلاد النجدية من قضاة وعلماء وأعيان ، فاستجاب بعضهم وصد عنه كثير منهم ، ورموه بالجهالة والمروق وغير ذلك من — النقائص وأنذروا به ، وبدأوا يعدون العدة للفتك به وتمزيق حركته .

لم يكن بد حينذاك من الجهاد وامتشاق الحسام فاندلعت الحرب فى بلاد نجد واتخذت أدوارا عدة واستشهد فيها كثير من بينهم ولدا الامير محمد بن سعود . فيصل وسعود . ثم توالت الحروب والغزوات وتألب الاعداء من كل جانب الى أن توفى الامير وتولى بعده ابنه عبد العزيز فواصل الكفاح المر وانتصر على كثير من خصومه واستولى على الرياض والقصيم والخرج وغيرها من البلاد .

الخطر الخارجى :

على أن هذه الحروب لم تظل فى دائرتها الداخلية الضيقة فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الاتراك العثمانيين وكل يدعى الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه ، فتبلبلت أفكار المسلمين فى سائر البلاد وقذفت السياسة فى هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة ، وخيلت للناس أن الشيخ متنبىء جديد يحاول القضاء على الاسلام والتعفية على آثاره ، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه فى كل مكان .. وتوفى الشيخ رحمه الله فى ابان هذه المعارك سنة ١٢٠٦ هـ — ١٧٩٢ م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد لكنه رأى مبادئه الاصلاحية ودعوته الاسلامية السلفية تشق طريقها ، وتسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاءه فى نشر دعوته الى يومنا هذا والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة .

واذا كانت الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حينا من الدهر ، فانها كانت الصقال الذى شحذ عزائمهم وحرك هممهم وأثار حماستهم للدفاع عن حوزة بلادهم ونصرة مبادئهم وكان لهم الغلب فى آخر المطاف .

والسر فى نجاح النجديين فى حركتهم هذه يرجع الى قوة الايمان التى بثها الشيخ فيهم والصمود فى سبيل الدعوة والاستبسال فى الجهاد وتعبئة قوى الشعب وتعليمه فنون الحرب الى جانب تعاليم الشريعة فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تيسمى (وكر التوحيد) تلقن فيها علوم الدين طرفى النهار وفنون الحرب فى أوسطه .

خطب الشيخ ورسائله :

قضى الشيخ طوال حياته واعظا مرشدا مبينا لأحكام الدين حاضا على اتباعه والعزوف عما ينافى التوحيد من — ضلال وبدع وشرك ومحرضا على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، وقد حفظ بعض أحفاده كثيرا من خطبه . ولقد كان فى خطبه يميل الى مخاطبة قومه باللغة التى يفهمونها وكان همه منصرفا الى المعانى لا الى العبارات — والتأنق فى الاساليب ولو فعل لأضاع كثيرا من جهده سدى ، فما كانت البيئة النجدية فى زمنه تتقبل غير الطريق الذى سار عليه .

مثال من رسائل الشيخ :

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التى يشرح فيها عقيدته السلفية وهى رسالة موجهة منه الى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدكم أنى أعتقد ما أعتقده أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله — الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل بل أعتقد أن الله (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا ألحد فى أسمائه وآياته ولا ، أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمى له ولا كفء ، ولا ند له ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره وأصدق من أهل التحريف والتعطيل فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) فالفرقة الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية وهم وسط فى باب وعيد الله بين المرجئة والمعيدية . وهم وسط فى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج ، وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأومن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شىء الا بارادته ، ولا يخرج عن مشيئته ، وليس شىء فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور ، وأعتقد لكل ما أخبر

به صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت وأومن ــ بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غــرا لا تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون) وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ، وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بــأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم . وأومن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وانه أول شافع وأول مشفع ولا ينكر شفاعة النبى الا أهل البدع والضلال ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال الله تعالــى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وهو لا يرضى الا التوحيد ولا يأذن الا لأهله . وأما المشركون فليس لهم فى الشفاعــة نصيب كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وأومن بأن الجنة والنــار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان وانهما لا يفنيان وأن المؤمنيــن يرون ربهــم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ، وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبــد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم . وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم ، واستغفر لهم ، وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء ، وأقر بكرامات الاولياء الا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسىء ، ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنبه ، ولا أخرجه من دائرة الاسلام ، وأرى الجهاد مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل . وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله . ومن ولى الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا . وأحكم عليهم بالظاهر وأكل أسرارهم الى الله ، وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة ، وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد

بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاه شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، وأرى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعـــة المحمدية الطاهرة . فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول شهيد) .

أثر الشيخ فى النهضة العلمية والأدبية :

لا مراء فى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الصرخة المدوية ، والصيحة التى نبهت الأمة من وقدتها ، ووجهت الانظار الى البحث والجدل ومناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة والدليل بالــدليل ، وحملت الناس على النظر فى الكتاب العزيز ، واستظهار كثير من آياته ومن الحــديث النبوى الشريف وهما الغاية القصوى فى البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية تتشابك وتترابط ولا يمكــن الفصل بينها اذ أن علوم اللسان العربى كلها ما قامت الا لخدمة الكتاب والسنـــة وفهمها فهما صحيحا فكان لا بد من قيام حركة علمية شاملة ونهضة فكرية عامـــة ولكن لم تتكامل الاسباب لتنظيم هذه النهضة وتعميمها الا قريبا ، ومع ذلك خطت خطوات واسعة الى الامام، واذا سارت الامور على هذا المنوال فانها تبشر بظهور فجر جديد يجعل من هذه الجزيرة كما كانت من قبل منهلا للآداب ، ومنبعا للعلوم والمعارف ، ومهدا للحضارة الحقة والمدنية الصادقة .

مؤلفات الامام وآثاره العلمية :

وتفسير شهادة أن لا اله الا الله ، وكتاب التوحيد وكشف الشـــبهات فى معنى التوحيد وما يخالفه ، وكتاب معرفة العبد ربه ودينه ، وكتاب مفيد المستفيد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومختصر الانصاف ، وكتاب الكبائر ، وله رسالة فى التقليد ، ومختصر الشرح الكبير ومختصر الفتاوى المصريـــة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وكتاب المسائل التى تخالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، وكتاب النبذة فى معرفة الدين الذى معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار .

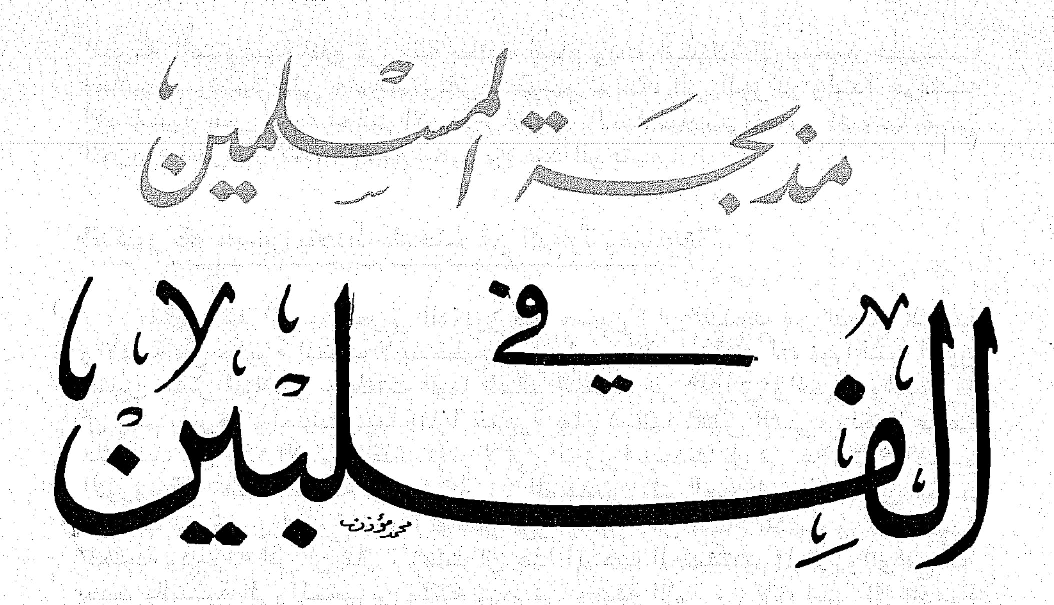
انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية :

ان استيلاء آل سعود على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى أوائل القـــرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلاميـــة ليتعرفوا أهداف الدعوة ويلتقوا بدعاتها ويناقشوهم فيما يدعون اليه ، وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج هذه المبادىء وتعصبوا لها ثم حملوها معهـــم ودعوا اليها فى بلادهم بعد رجوعهم اليها ، فانتقلت هذه المبادىء الاصلاحية الى السودان والى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعاتها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية ، ثم محاولة اقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفيذ الاحكام وتقييم الحدود كما انتقلت هذه الدعوة الى مصر والشام وزنجبار واليمن وكذلك الحركة السنوسية التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ثم غزت طرابلس بعد ذلك ، وانتشرت فى شمال افريقيا ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان وان هذه الحركة السنوسية التى ناهضت الاستعمار فى كل مكان حلت فيـــه والتى

الحركة السنوسية كان فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء آل سعود عليها فعاشرهم وتتلمذ على علمائهم وتأثر بدعوتهم ثم عاد الى الجزائر وابتدأ حركته الاصلاحية على ضوء تعاليم الاصلاح الدينية الاسلامية التى أضرم نارها فى الجزيرة العربية الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الدكتور طه حسين يتحدث باعجاب عن الدعوة وصاحبها :

قال عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين (ان الباحث عن الحياة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادى ، فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها وأحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها بعض الشىء ولكنها عادت فاشتدت فى هذه الايام وأخذت تؤثر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقاتها بالامم الاوروبية ، هذه الحركة هى حركة . . الوهابيين التى أحدثها (محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد) ثم ذكر نزرا يسيرا عن نشأة الشيخ ورحلاته العلمية ودعوته الى أن قال : (قلت ان هذا المذهب الجديدقديم المعنى والواقع أنه جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم فى حقيقة الامر ، (لأنه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقى المطهر من شوائب الشرك والوثنية . هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم خالصا لله ملغيا كل واسطة بين الخالق والمخلوق . فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة الى أن قال : ولولا أن الجاهلين اجتمعوا على حرب هذه الدعوة وحاربوها فى دارها بقوى وأسلحة لا عهد لأهل الدعوة بها لكان من المرجو أن توحد هذه الدعوة كلمة العرب فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرى كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم فى القرن الاول ولكن الذى يعنينا من هذه الدعوة هو أثرها فى الحياة العقلية والأدبية عند العرب . فقد كان هذا الأثر عظيما وخطيرا من نواح مختلفة فقد أيقظ النفس العربية فوضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم والسنان) وأخيرا لقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم فى العالم الاسلامى اذ كانت الشعلة الاولى لليقظة الحديثة فى العالم العربى والاسلامى كله تأثر بها زعماء الاصلاح فى سائر الاقطار الاسلامية وكل الحركات الاصلاحية مدينة لهذه الدعوة الاصلاحية ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل من هذه الحركات اما عن طريق الاقتباس أو المحاكات أو مجرد التأثر والتأثير .



قام الأستاذ سامى محمود بتحقيق عن مأساة المسلمين فى الفلبين نشرته صحيفة (أخبار اليوم) القاهرية ننقله للقراء فيما يلى :

مذبحة تحدث الآن للأقلية المسلمة فى الفلبين ..

الهدف : القضاء على آخر معاقلهم فى الجنوب ..

الخطة : الاستيلاء على أرضهم .

الوسيلة الاغتيال المنظم .. الخطف .. نسف المنازل .. والقاء القنابل على المواطنين .. الطرد من الأراضى ..

اطلاق النار على المصلين .. اثارة الطائفية ..

الأداة : جيش سرى منظم يطلق على نفسه اسم (الفئران) .

المذبحة مستمرة بعنف منذ ثلاثة شهور متتالية . الجمعيات الاسلامية فى الفلبين استنجدت بالفاتيكان .

تنكو عبد الرحمن أرسل الى (ماركوس) رئيس جمهورية الفلبين يطلب منه تقريرا عن مذابح المسلمين ..

ويسألون لماذا ؟

والقصة قديمة عمرها ثلاثة قرون ونصف قرن والفاعل الأول .. اسبانيا .. لكن الخطة الجديدة بدأت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وكانت تستهدف رشوة زعماء المسلمين ومنحهم مناصب كبيرة .. شراء أراضى المسلمين فى جزر الجنوب خاصة جزيرة (مندانا) و (سولو) .. تهجير اعداد ضخمة .. من أهم المحافظات الاسلامية وهى (لاناو) كوتباتو ــ دافاو ــ زمبوانجا ــ صولو (باسيلان) زيادة حملات التبشير .. الغاء أحكام الشريعة الاسلامية وسيادة القانون المدنى على كافة المسلمين خاصة أحكام الزواج والطلاق ، واباحة زواج المسلمة بغير المسلم ــ خلط العقيدة الدينية بالخرافات والاسرائيليات . الهجوم

الفكرى المستمر على الاسلام الذى تتزعمه جماعات شريكة لمنظمات صهيونية معاملة المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية عددهم ٥و٣ مليون من مجموع السكان الذى يصل الى (٣٤) مليونا ـ فرص أقل فى التعليم والخدمات الصحية وغيرها . مناطق اسلامية كثيرة لا تعرف شيئا اسمه الصحف أو التليفزيون ، وليس غريبا أن تكتشف قبيلة بدائية تماما تعيش بأسلوب العصر الحجرى فى جزيزة منداناو .. فى الجنوب الذى تتركز فيه الأقلية المسلمة !

والفلبين تقع من الجانب الغربى للمحيط الباسفيكى جنوب شرق آسيا وتحيط بها أندونيسيا وماليزيا وفورموزا والصين وتشتمل على ٧١٠٠ جزيرة ومساحتها (١١٥) ألف ميل مربع وعاصمتها مانيلا ويتكلم أهلها أكثر من ٨٧ لغة أهمها اللغة التاجوليكمية والاسبانية والانجليزية ، ويزيد عدد المسيحيين الكاثوليك على ٨٤٪ من السكان ،والمسلمين حوالى ٩٪ . وتقوم الحياة السياسية على حزبين أساسيين هما (الاحرار .. والوطنيون ..) وقد وصل اليها الاسلام فى القرن التاسع الميلادى الا أن أول حكم اسلامى كان فى أواخر القرن ١٣ .. ثم احتلها الاسبان فى بداية القرن السادس وتبعهم الامريكان فى بداية القرن العشرين .. وتشتهر بمعادنها الكثيرة ـ ذهب وفضة ـ وكذلك بالمحاصيل الزراعية .. الأرز والسكر والتمباك والمطاط ..

وموقع الفلبين الاستراتيجى فى جنوب شرق آسيا فى قلب الصراع بين أمريكا والصين يفرض عليها أوضاعا خاصة ..

السفارة تقول :

وقد ذهبت بعدد من القصص والأخبار والأحاديث التى جمعتها أثناء مقابلاتى مع عدد من زعماء العالم الاسلامى ومسلمى الفلبين . وأخبار الوكالات الأجنبية ـ الامريكية ـ خلال هذا الاسبوع وفى موسم الحج وفى عدد من اللقاءات الأخرى فى مناسبات مختلفة .. ذهبت بهذا كله الى المسئولين فى سفارة الفلبين .. حرصا على أخذ وجهة النظر الأخرى ـ لكنهم وعدوا بالرد على كل ما سيجىء بهذا التحقيق بعد الرجوع الى حكومتهم لسماع الرد الا أنهم من ناحية أخرى أكدوا أن الذى يحدث ليس حربا دينية !!! وان الحكومة شكلت لجنة لبحث مشكلة الأرض ! وان المسلمين لا يعاملون معاملة الدرجة الثانية .

مذبحة الأحد القادم :

ومهما كان رد المسئولين فى السفارة فان وكالات الانباء نقلت انذارا وجهه الجنرال جارسيا قائد الجيش الفلبينى الى المسلمين حول مدينة (بولدن) والذين سماهم (بالقمصان السود) بأنه ما لم يسلموا أنفسهم قبل يوم الأحد القادم فانهم سيتعرضون لهجوم مدمر من قوات البوليس التى يزيد عددها على (٢٠٠٠) جندى

والجدير بالذكر ان صداما وقع بين المسلمين والمسيحيين يوم الثلاثاء الماضى .. وأرسلت الحكومة قوات لفض النزاع . لكن هذه القوات الحكومية .. تحالفت مع المسيحيين فى قتالهم ضد المسلمين وهاجمتهم بالدبابات والطائرات .. ورغم هذا فان المسلمين المسلحين ببنادق مخلفة من الحرب العالمية استطاعوا أن يقتلوا ٢٠ ويسقطوا طائرة هليوكبتر ويدمروا دبابة وقد أعلن البروفيسور ابراهيم

اسماعيل أحد زعماء المسلمين فى الفلبين بيانا اذيع من (مانيلا) نفسها أعلن فيه ذلك ان ١٠ مسلمين قد ذبحوا كالشاة .

ومن ناحية أخرى فان المسلمين ما زالوا متحصنين فى بعض المناطق ومحاصرين بقوات ضخمة من البوليس والجيش وهذه القوات مزودة بمدفعية عيار (١٠٥ ملليمتر) وطائرات هليوكبتر ودبابات وقد نسفت احدى سيارات البوليس المدرعة بلغم أول أمس وهى تحاول الاقتراب من معسكر المسلمين .. وكان الحصار مستمرا وتستعد قوات البوليس لمذبحة جديدة يوم الأحد ٧١/٨/١٥ ومن المقدر أن يكون عدد الضحايا من ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ وهى تقديرات متحدث بلسان البوليس الفلبينى .. ومما يدعو الى الدهشة أنه قد أذيع يوم الاربعاء أن طائرات الحكومة اسقطت منشورات تطلب فيها من المدنيين فى بولون اخلاء جزيرة ميندانو — والمعروف أن أغلبية المسلمين يتركزون فى هذه الجزيرة .

اسرائيل هناك ايضا :

ويتهم المسلمون فى الفلبين وعدد من شهود العيان من الفلبين أيضا — الصهيونية العالمية بمحاولة ابادتهم واغراء مسيحيى الشمال بالزحف على أراضى الجنوب الغنية فى محاولة لطردهم منها والاستيلاء عليها .. وقد تم بالفعل طرد أكثر من ٥٠ ألف أسرة ما زالت مشردة فى الجبال والغابات بنفس الاسلوب الذى استخدم فى فلسطين . وجدير بالذكر أن أقرب مستشارى رئيس الجمهورية جنرال صهيونى خطير يدعى (منسى) وبليونير يهودى آخر يدعى اليسالدى .

وطرد المسلمين من أرضهم مشكلة من أغرب المشاكل . فأغلب الاراضى التى يملكها المسلمون توارثوها جيلا بعد جيل لمدة تزيد فى بعض الاحيان على أربعة قرون .. وفجأة خاصة فى السنوات الثلاث الاخيرة . قررت الحكومة تشجيع هجرة أهل الشمال المسيحى الى أراضى الجنوب المسلمة الخصبة . ويأتى المهاجرون الجدد ويشرعون فورا فى تسجيل (أراضى المسلمين) — وهى غير مسجلة أشبه بالحكر — ويأتون فى صباح اليوم التالى بعد التسجيل يطلبون من المسلمين اخلاء أراضيهم .. لان الحكومة سجلت لهم هذه الأراضى — هكذا — يطالبون المسلمين بالأرض ويرفض المسلمون ويلجأ الاقطاعيون وأصحاب الأراضى الجدد من المسيحيين الى اعمال العنف والشغب وهى تبدأ عادة بحرق الأراضى وتسميم المياه والحيوانات .. وتنتهى بالاغتيال والخطف وبقر البطون . واستمرت هذه العمليات ونمت حتى أصبحت جيشا رهيبا يطلق عليه اسم الفئران أو الـ (ايلاجا) .. وهذا الجيش فى الحقيقة مجموعات من الرجال الذين دربهم الجيش والبوليس ويشترك المزارعون الجدد فى تمويلهم .. اما لماذا لم تسجل الحكومة للمسلمين أرضهم أو تطلب منهم ذلك وهى معترفة بأنهم يعيشون عليها من قرون — فلا أحد يدرى .. ومن ناحية أخرى عندما طلب المسلمون تسجيل أرضهم رفضوا .. وعندما طلبوا تسجيل أراض جديدة رفضوا أيضا .. وأصبحت اكثر من ٥٠ ألف أسرة مشردة فى الغابات والجبال .. يعيشون كالأنعام ويتعرضون للقتل وهتك العرض والسلب والموت من الجوع والمرض والبرد !!

مذبحـــة للشبان فقـــط :

ومن أغرب القصص القادمة من الفلبين قصة (مذبحة الـ ١٦٩) شـــابا مســـلما . فقد اختارت السلطـــات من كل أسرة شـــابا لتدريبهم فى معسكر (كوريجيدور) ولم يمض وقت طويل حتى عرف أنه قد تم ابادة هـــؤلاء الشـــبان جميعا عدا واحدا فقط اسمه جيين أرولا استطاع الهرب وروى هذه المذبحـــة الرهيبة واتصل بعدد من زعماء المسلمين بالقرب من مانيلا وروى لهم تفاصيل ما حدث وكان الهدف ابادة القادرين على المقاومة وحمل السلاح واحداث موجة ذعر رهيبة بين المسلمين . وفى يونيو الماضى حدثت مذبحة أخرى لم يستطيعوا هذه المرة اخفـــاءها .. فقد جمعوا المســـلمين داخل المسجد لعقد صـــلح بين المسيحيين وبينهم ــ حول مشاكل الأرض ــ وجلس المسلمون داخل بيت الله . جانحين للسلم مستعدين للصلح وفجأة اقتحم المسجد مجموعة من المسيحيين المسلحين بالمدافع الرشاشة وبدأوا اطلاق النيران .. واستطاعوا أن يذبحوا ٧٠ بينهم سيدات وأطفال ويجرحوا خمسين آخرين اصيبوا اصابات مختلفة ..

وللرئيس ماركوس مستشار يهودى صهيونى آخر هو (مانويل اليسالدى دوبنر) . واختصاصه هو شئون الأقلية !!! وهو ــ المتهم الأول فى الحـــوادث الأخيرة .. وقام منذ عدة أسابيع بزيارة هذه المناطق وتنظيمها .. وهو فضـــلا عن كونه مليونيرا فهو وزميله اليهودى الآخر الجنرال منسى يملكـــــون مزارع شاسعة فى الجنوب .. هذا فضلا عن مناجم الذهب والنحاس وطائرة (السندى) الخاصة مثلا هى التى اكتشفت القبائل البدائية وقام (الستوى) بتوزيع الســـلاح على بعض القبائل اللادينية التى تعيش فى الجبال والتى استولى المسيحيـــــون أيضا على أرضهم .. وقد بدأت هذه القبائل عمليات القتل بين المسيحيين وفـــر أغلبها الى الغابات فى الوقت الذى بدأ فيه المسيحيون عمليات الارهـــاب ضـــد المسلمين ، وكان هدفه اثارة الفتنة .. ومن المعروف أنه على صلة بأحد زعمـــاء قبائل الاغلبية واسمه (تونبك) وانه أمده بالسلاح .

جيش الفئران :

ويلجأ المسيحيون فى تنفيذ مخططهم الصهيونى لاجلاء المسلمين من أراضيهم .. الى تكوين جيش سرى مزود بأحدث الأسلحـــــة .. وهو أشبه بجماعـــات الهاجاناه فى فلسطين .. ويبلغ عدده فى كوتاباتو وحدها نحو ٣٥٠ ألف رجل ..

وفى مقاطعة (واو) حرقوا البيوت والمزارع وطردوا أصحابها فى الشهر الماضى .. وفى (باتوت) أيضا اشترك البوليس مع جماعة الفئران فى احراق مزارع القرية وطرد أهلها واحراق ٥ مساجد و ٥٨ منزلا فى قرية (بولفان) .. ونفس الشيء حدث فى (أوبى) لكنهم قتلوا هذه المرة عشرات من النساء والأطفال .. والى جانب الفئران توجد عصابة أخرى تطلق على نفسها اسم (الاخطبوط) وهى مدربة تدريبا راقيا وتقوم بغارات منظمة على المزارع لافزاع أصحابها .. وآخر غاراتهم على ٤ مدن فى كوتاباتو .. بينما اشترك معهم الفئران فى قتـــل ٦٨ رجلا من المسنين وجرحوا طفلا ، وأثناء دفاع الشيوخ عن أنفسهم قتلوا ثلاثة من العصابة .. وتعرف هذه المذبحة باسم (مذبحة الشيوخ) .. شاهد عيـــان لمذبحة المسجد الشهيرة فى شهر يونيو الماضى اسمه (بانكوسوماما) قال ان

القتل لم يقتصر على الـ ٧٠ ضحايا المسجد فحسب بل تعداه الى مدرسة تبعد عنه كيلومترا واحدا وقتل فيها ٧ من الأطفال داخل الفصول .. (توماما) قال أيضا أن رجال العصابة كانوا يرتدون زيا خاصا وانه كان يجلس بجوار زوجته التي قتلت وشقيقته التي أصيبت اصابات بالغة وانه نجا بأعجوبة .. وأكمل قصة المدرسة (أحمد سولاى) عندما قال ان طفليه (نوردن ونورما) وزوجته (ليريرا) وشقيقه (جونون) قد قتلوا أيضا داخل المدرسة .. وان القتل حدث فجأة عندما اقتحمت جماعة من العصابة المدرسة وقتلت الأطفال ..

هذه مجموعة من الحقائق المؤلمة لما يحدث فى الفلبين ولا يستطيع أحد أن يتجاهل الحقائق الرهيبة التى تبرز وراء هذه القصص فى كلمة واحدة هى محاولة تصفية المسلمين والاستيلاء على أرضهم التى توارثوها لمدة تزيد على أربعة قرون .. وعلى حد تعبير (ساليبدا بينون) عضو مجلس الشيوخ المسلم .. انه قد أصبح واضحا لدى المسلمين الآن بشكل لا يدعو الى الريبة ان عملية منظمة لابادتهم وتصفيتهم فى الجنوب تجرى الآن .. » وان البوليس يتخذ دفاع المسلمين عن أنفسهم بالعصى والسكاكين والبنادق القديمة التى ينقصها الذخيرة .. ذريعة للقضاء عليهم .. ان الذى يحدث الآن للمسلمين فى الفلبين صورة مفزعة — مكررة — لما حدث فى فلسطين .. وليس غريبا أن يقود عملية الفلبين اثنان من أعتى الصهاينة اليهود : الجنرال منسى والبليونير اليسالدى .. وكلاهما يملك مزارع شاسعة فى أرض المسلمين !

والمسلمون يقولون اننا نعامل معاملة المواطن من الدرجة الثانية .. المناصب القيادية والهامة ممنوعة .. الجيش نحن الجنود دائما وهم الضباط والجنرالات .. فرص العمل تكاد تكون معدومة للمواطن المسلم العادى .. وكل ٤٠٠ تلميذ لديهم مدرس واحد وكل نصف مليون لديهم مستشفى واحد به ٤٠ سريرا وطبيبا عاما .. مثلما يحدث فى سولو ومنداناو .. مياه الشرب والكهرباء معدومة فى أغلب مناطق المسلمين .. المساكن أغلبها من البامبو التى يصنعها الأهالى بأنفسهم المرافق والخدمات معدومة .. القرآن واللغة العربية ممنوعان فى كثير من المناطق .. الدعاية المضادة للاسلام .. ونشر الاسرائيليات و (الماسونية) . الحكومة تستولى على مناطق شاسعة من أراضيهم — وهى دائما غير مسجلة وتوزعها على المسيحيين بواقع ١٠ هكتارات لصغار الملاك .. الحكومة تقيم معسكرات الاصلاح والسجون للمجرمين الخطرين داخل أراضيهم .. الحكومة تشجع هجرات أهل الشمال المسيحى الى غزو مناطق الجنوب .. ووصل عدد المهجرين فى السنوات الأربع الأخيرة الى مليون ونصف مليون .. والمهاجرون الجدد مسلحون بالمدافع والعلم والمال . ومعهم دائما دعاة تبشيريون يقيمون الكنائس والمستشفيات .. المسلمون أصبحوا لاجئين فى الجبال والغابات .. الحكومة تطرد الأهالى من مناطق كاملة فى حجم المحافظات الكبيرة بحجة عدم التسجيل .. ثم تعيد توزيعها بعد فترة على المسيحيين .. حدث هذا أخيرا فى (واو) و (لاناودلسور) و (لاناود لسنترى) وفى (كوتاباتو) . والسؤال الذى يبرز دائما .. ان لم يكن هذا اضطهادا ومعاملة من الدرجة الثانية وتصفية وارهابا .. فما الذى يمكن أن نسميه !؟..

ورغم أن زعماء المسلمين متصارعون دائما فى الفلبين بحكم ارتباط مصالحهم بالقوى الاقتصادية والسياسية الرئيسية التى تحكم البلاد والتى تتمثل فى حزبى الأحرار والوطنيين .. الا أنهم رفعوا شعارا واحدا هذه الأيام وهو الوحـــدة للمحافظة على أرواح المسلمين .. واصدروا بيانا وقع عليه ٣٠ من كبار زعمائهم من الحزبين أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح الدموية التى تحدث مثل (مذبحة زبيدة) ومذابح الجوامع والتفرقة فى المعاملة وقلة الفرص المتاحة للمسلمين ، وعـدم احترام الشريعة الاسلامية أو الشعائر الدينية .. وعدم معاقبة المسئولين عن هذه الحوادث دائما ، وتواطؤ البوليس والجيش مع المجرمين .. ومحاولة تصفية المسلمين فى الجنوب تماما .. وهم أصحاب البلد الأصليون ..

ورغم أن المسلمين كانت تقودهم حركة اسلامية واحدة الا أنهم انشقـــوا وتمثلوا فى جميعية أنصار الاسلام التى يمثلها أحمد دوموكاو النتو .. والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ويتزعمه محمد على ديمابورو .. وجدير بالذكر أن الذى ساعد ديمابورو على انشاء هذا المجلس هو (ماركوس) رئيس الجمهورية وزعيم الحزب الوطنى .. وهكذا ترى أن المسلمين منشقون أو كانــوا كذلك .. وقــد استغلوا دائما كواجهات كاذبة على حسن معاملة المسلمين .. فهــم دائمـــا الزعماء فقط — وهم دائما يملكون السيارات الفاخرة والمزارع الفنية — وهــى طبعا مسجلة ! — .. ومن الأشياء التى تدعو الى الرثاء أن الحكومة تضع فى وزارتها وزيرا مسلما مسئولا عن شئون الأقلية — وهى فى أغلبها مســلمة — واسمه (تاتوما ماما) وتضع له من ناحية أخرى (كسالدى) اليهودى مستشار الرئيس .. وطبعا كل السلطة للمستشار الصهيونى .. و (ماما) مجرد واجهة .

بعد الحوادث الأخيرة تجمعت أعداد هائلة من شباب المسلمين المثقفيـــن وعدد من زعماء المسلمين يقودهم — اوتوج ماتالام — و (الزعيم كاملون) الذى استمر فى صراع مسلح مع الحكومة ست سنوات ويتحصن هؤلاء فى بلدة(بـــابا لومان) وهى منطقة لم يدخلها غير المسلمين منذ سبعة قرون تقريبا — وقد طالب هؤلاء بفصل اقليم (مندانا) و (سولو) الذى يتركز فيه المسلمون .. لحمايتهم من المجازر التى تحدث لهم الآن .. وهم من ناحية أخرى يطالبون العالم الاسلامى بالوقوف معهم ومساعدتهم فى الأمم المتحدة ولدى حكومتهم والفاتيكان لانقـــاذ أرواحهم ..

وقد زاد اتصال مسلمى الفلبين بالعالم الاسلامى منذ مؤتمر باندونج .. وكان السناتور (أحمد النتو) من أشد المتحمسين لذلك .. ودعيت بعد ذلــك شخصيات مختلفة من العالم الاسلامى لزيارة مسلمى الفلبين وساعد على ذلك أن رئيس الفلبين (ماكاباجال) كان صديقا للرئيس الراحل عبد الناصر .. وكان صديقا أيضا للمسلمين .. وهو الذى دعا الى اتحاد ماليزيا والفلبين وأندونيسيا فيما يعرف باسم (مافلندو) .. وكانت أهم الزيارات التى قام بها الدكتور عبــد العزيز كامل وزير الأوقاف منذ وقت غير بعيد وتوفيق عويضـــة رئيس المجلس

الأعلى للشئون الاسلامية وقبلها زار الشيخ الباقورى والمرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .. ويزورها حاليا الدكتور محمد كاظم عميد كلية التربية بالأزهر والدكتور عبد اللطيف بدوى مدير جامعة الأزهر .. ويدرس أكثر من ١٥٠ طالبا فلبينيا مسلما .. فى جامعة الأزهر .. كما يوجد بعض المدرسين الأزهريين فى الفلبين .

وقد عبر عدد كبير من الشخصيات الاسلامية البارزة فى موسم الحج الماضى عن أسفهم الشديد لما يحدث للمسلمين المسالمين فى الفلبين .. فى بلاد اختارت الاسلام بنفسها دينا لها منذ قرون طويلة .

ومن الأشياء الغريبة ان الاسبان الذين قضوا على الاسلام فى اسبانيا .. هم أنفسهم الذين قضوا عليه فى الفلبين عندما غزوها عام ١٥٢١ .. وكانت توجد فى مانيلا العاصمة سلطنتان اسلاميتان وكان يحكمهما السلطان راجا سليمان .. وأطلق الأسبان على المسلمين (مورروس) .. وهو نفس الاسم الذى كانوا يطلقونه على المسلمين فى شمال افريقيا الذين انتصروا عليهم واستمروا يحكمون اسبانيا لفترة تقرب من التسعة قرون .. ورفض المسلمون فى مانيلا خاصة فى سلطنتى تسرى بيسايس وقاجابات ، ان يغيروا دينهم .. فأبادهم الاسبان .. وبعضهم هرب الى الجنوب والبعض الآخر تظاهر بقبول الاحتلال الاسبانى .. واستمر الاسبان فى زحفهم على باقى الجزر .. لكنهم عجزوا دائما على الوصول الى سلطنتى سولو ومنداناو فى الجنوب واستمرت هاتان السلطنتان من القرن السادس حتى آخر القرن التاسع عشر تتمتع بالحرية والاستقلال .. حتى حل الامريكان مكان الاسبان فى عام ١٨٩٨ وبقوا فيها حتى عام ١٩٣٦ عندما غزا اليابانيون الفلبين ولم يجلوا عنها الا بانتهاء الحرب العالمية الثانية .

وقد شارك المسلمون المسيحيين وساعدوهم فى تحرير جزر الفلبين كلها وكانوا يحاربون فى ذلك الوقت ، مع الحلفاء .. لكن بعد انتهاء الحرب العالمية .. حل المسيحيون مكان المستعمرين .. وبدأت المأساة .. وخطط لتنفيذ زحف المسيحيين والاستعمار وراءهم الى المناطق التى لم يستطع الاسبان احتلالها والتى ظلت فى الحقيقة ومنذ القرن التاسع الميلادى .. — على أرجح الاقوال — تتمتع بالحرية ونشأ أول حكم اسلامى بالمعنى المفهوم مع بداية القرن الثالث عشر ... وكان بحر الصين والبحر المتوسط دلتا بحيرة اسلامية .. وطريق التجارة الدولى .. الى أن ظهرت قوة البرتغال والاسبان المستعمرة وكان هذا يعنى بداية غروب سيطرة الاسلام فى جزر بحر الصين والبحر المتوسط ..

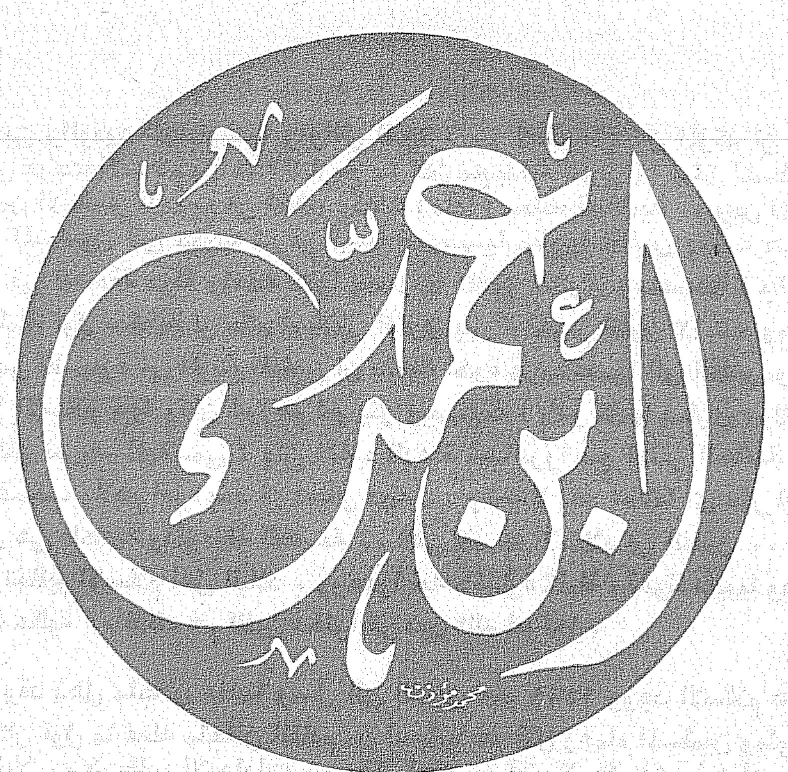
والسكان المسلمون الأصليون اسمهم (أنديوس) وهم ينتسبون الى أهل الملايو وأندونيسيا من ناحية النوع .. أما (فلبيى) فيطلق على الاسبان الذين استوطنوا الفلبين وكذلك على أهلها الذين اعتنقوا المسيحية .. و (فيليب) هو ملك اسبانيا فى ذلك الوقت وقد أطلق عليها ..

ومن المؤكد أن الاسلام وصل الى الهند والصين فى وقت مبكر جدا فى القرن الثامن الميلادى .. وان الجزر المحيطة بهاتين القارتين كانت محطات للتجار

المسلمين والوفود الاساوسية وقوافل التجارة .. لذلك فانه من المؤكد أن هذه المناطق عرفت الاسلام منذ هذا التاريخ .. لكن مع بداية القرن ١٤ تمكن المسلمون تماما من الانتشار السريع فى الملايو وكانت (ملقا) منطقة اسلامية .. ومن الملايو انتشر المسلمون الى جنوب شرقى آسيا أندونيسيا ماليزيا الفلبين وكانت هـذه الدول فى الحقيقة دولة واحدة كانوا يسمونها الملايو الكبرى وعاصمتها (جاوة) وقد قامت أول سلطنة أو حكم اسلامى ادارى بين أواخـر القرن ١٣ .. ومـن القصص الشهيرة فى تاريخ الفلبين ان سبعة أخوة عرب قدموا الى الفلبين وأنهم نشروا الاسلام فيها وكان أبرزهم أبو بكر ويسمونه (يادو كامها سارى مولانـا السلطان شريف الهاشمى) وان أغلب الدعاة تصاهروا مع الأسر الحاكمة .. وان الشعب ولاهم أمره بعد أن اعتنق دينه .. وأنت لا تجد اطلاقا أى ذكر لقتال .. بل هى الحكمة والموعظة الحسنة .. التى نشرت الاسلام فى الفلبين .. وقد بهرت تعاليم الاسلام أهل البلاد . ووجدوا فيه حضارة كاملة وقانونا دنيويا وصلة روحية عالية .. لذلك هم الذين دخلوا فى دين الله أفواجا .

وقد ذهل ماجلان عندما وصل الى الفلبين عام ١٥١٩ ووجد الاسلام هناك .. وكان أول ما فعله ماجلان القادم من اسبانيا هو قتل زعماء المسلمين وملوكهم فى مانيلا .. ثم طلب الامدادات .. وقال لحكومته الاسلام الـذى طردناه مـن اسبانيا وجدته هنا .. وذهبت حملات دموية لابادة معتنقى هذا الدين .. لـكن ماجلان شهد نهاية يستحقها عندما قتل بيد الملك المسلم (لابو لابو) .

ان قصة الاسلام فى الفلبين بقدر ما فيها من صفحات مشرقة فى الماضى تؤكد حقيقة هذا الدين ، بقدر ما فيها من صفحات دامية ملطخة بالدماء تجرى هذه الايام ويتعرض المسلمون فيها للمذابح الجماعية والطرد والتعذيب والارهاب فى عصر الأمم المتحدة وحقوق الانسان وحرية العقيدة .. ان قلوب المسلمين كلهـا معهم وعيونهم دائما عليهم .. وان نصر الله لقريب ..



– ١ –

((أى صفوان ..
فداك أبى وأمى
هو أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس .
ابن عمك عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ..)) .

قالها عمير بن وهب ابن خلف القرشى الجمحي المكى لابن عمه صفوان بن أمية بن خلف ، فى تأثر شديد ، وضراعة ظاهرة ، واستعطاف كبير .

ويرد عليه صفوان فى غضب واستكبار ، وعزم وتصميم ، دعنى وطريقى ، لن أعود أبدا .

وكان صفوان قد هم بركوب السفينة من جدة ، لتقله الى اليمن ، يعيش فيها ، بعيدا عن مكة ، وعما آل اليه أمر مكة يومئذ .

وكان ذلك فى مطلع شوال من العام الثامن من الهجرة ، بعد فتح مكة بقليل .

ويعود عمير ليقول من جديد :

((أى صفوان ..
أى ابن عم .
لن أدعك وطريقك أبدا .

انزل من السفينة ، وعد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، وأنت أنت ابن مكة ، وشريف العشيرة وسيد القوم ، وفيها صاحبتك وأولادك وأموالك)) .

وكان صفوان سيد بنى جمح ، بعد أبيه أمية بن خلف ، كما كان من كبراء قريش فى حياة أبيه .

وكان أمر الأزلام فى الجاهلية موكولا الى صفوان ، ونشأ فى جاه أبيه ومجده وشرفه وماله ، وعمل فى التجارة ، وربح وأثرى ، وجمع الذهب ، حتى صار له قنطار من

عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الذهب ، كما كان لأبيه قنطار من الذهب ، وبذلك جمع السؤدد من أطرافه ، ونال المجد بكلتا يديه .

وتزوج صفوان فى حياة أبيه من أكرم بيوت العرب ، تزوج برزة بنت أبى مسعود الثقفى ، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة .

وكان أبوه ((أمية)) من أشراف قريش وسادتها واليه الرأى فى الكثير من الامور والمشكلات .

وجاء الاسلام ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الايمان به ، وصدت قريش عند ذلك صدودا عجيبا ، وقاومت رسول الله والمؤمنين به مقاومة ليس لها مثيل فى التاريخ : وكان عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام . والوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، وسواهم يمثلون جبهة المعارضة للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب وهو عبد الله ابن أبى أمية المخزومى ، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أخا للرسول من الرضاعة ، أرضعتهما معا حليمة ، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله كانا من أشد الناس عداوة لرسول الله ، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة ، فقال له ابن عمته عبد الله بن أبى أمية : والله لا أومن بك أبدا ، حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك .. وكذلك كان الأخنس الثقفى ، وأبى بن خلف الجمحى ، والعاص بن وائل السهمى ، وغيرهم ..

وكان أمية بن خلف هو الذى تولى تعذيب المسلمين من مثل بلال . وأمية ومعه الوليد بن المغيرة ، وبعض أشراف قريش هم الذين قالوا لرسول الله : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد . وقد حضر أمية بدرا هو وابنه صفوان ، فقتل أمية وقتل معه أبو جهل وأشراف قريش وسادتها وورث صفوان بعد أبيه أمية مجده وحسبه وشرفه ، وصار اليه ما كان لأبيه من قبله .

واستمر صفوان فى حربه للاسلام ولرسول الله ، كما كان يصنع ، وكما كان يصنع أبوه قبله .

– ٢ –

وبعد بدر أخذ صفوان بن أمية يكيد لرسول الله كل الكيد ، ويتآمر عليه بكل ما فى وسعه وطاقته من حيلة ، وهو الشقى الموتور ، قتل أبوه وأخوه فى بدر ، وقتل أشراف قومه وسادتهم .

وجلس صفوان فى الحجر فى يوم من الايام وحوله ابن عمه عمير بن وهب الجمحى ، وكان شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله وأصحابه ، ويلقون منه عناء شديدا وهم بمكة ، وكان ابنه وهب قد أسر فى بدر .

وأخذ عمير يذكر مصاب قريش فى بدر ، ويذرف الدموع على قتلاهم ، فقال له صفوان . والله ما فى العيش بعدهم من خير ، فرد عليه عمير . صدقت والله ، أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضياع والهوان بعدى لركبت الى محمد حتى أقتله ، وأشمت بالمسلمين فيه ، فان لى قبلهم علة ، ابنى وهب أسير فى أيديهم .

فقام صفوان واقفا ، فرحا جذلان لما سمع ، وما أكرم ما سمع على نفسه ، وقال يغتنم الفرصة حتى لا تفلت من يديه : يا أبا وهب ، يا أخى ، دينك على أنا ، أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أواسيهم ما داموا على ظهر الارض فقال أبو وهب عمير : اكتم عنى شأنى وشأنك هذا ، لا تحدث به أحدا حتى لا يعرف أحد ما أنتويه ورد صفوان فى حماس شديد : أفعل ذلك .

وذهب عمير الى منزله ، فأخذ سيفه ، فشحذه وسممه ، وركب راحلته ، وخرج من مكة يريد المدينة ، والناس يسألونه الى أين تريد يا أبا وهب ؟ فيقول : أريد المدينة لفداء ابنى الأسير .

وقدم عمير المدينة فبينما عمر فى فى جماعة من المسلمين يذكرون ما أكرمهم الله به ، اذ نظر فرأى عميرا قد أناخ راحلته على باب مسجد رسول الله ، متوشحا بالسيف ، فقال لمن حوله : هذا الشيطان عدو الله عمير ابن وهب ما جاء الا لشر ، وهو الذى حرش بيننا ، وكان عينا علينا لقريش فى بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله وهو يقول : يا نبى الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه .

قال : فأدخله على ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه ، فلببه بها ، وقال لرجال من الانصار : ادخلوا فاجلسوا عند رسول الله ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غير مأمون . ودخل به على رسول الله

فلما رآه الرسول وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله يا عمر ، أدن يا عمير .

فدنا عمير من رسول الله ، وجلس فقال له رسول الله : فما جاء بك يا عمير ؟ قال عمير : جئت لهذا

الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه .

قال . فما بال السيف فى عنقك ؟

قال عمير : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال الرسول : أصدقنى ما الذى جئت له ؟

قال : ما جئت الا لذلك .

قال : بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على ، وعيال عندى لخرجت حتى أقتـــل محمدا ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، واللـــه حائل بينك وبين ما تريد ، وصعق عمير لما يسمع ليس من أحد يعرف الأمــر غير صفوان ، وقد أوصى صفـــوان بكتمانه عن كل الناس ، ان هذا الا الوحى نزل على محمد من السماء ، واهتزت أعماق عمير ومشاعـــره اهتزازا شديدا ، وقال أشهد أنـــك رسول الله قد كنا يا محمد نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان ، فوالله انى لأعلم ما أتاك به الا الله ، فالحمـــد الله الذى هدانى للاسلام ، وساقنى هذا المساق ، وشهد عمير شهـــادة التوحيد ، والحق ، فقال رســـول الله : فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له أسيره .

فصنع المسلمون كل ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عمير يا رسول الله انى كنت جاهدا فى أطفاء نور الله ، شديـــد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى حتى أقدم مكـــة ، فادعوهم الى الله ، والى رسوله ، والى الاسلا م، لعل اللـــه يهديهم ، والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم وأذن له رســـول الله .

كل ذلك وصفوان بن أمية فى مكة يصبح ويمسى وهو يقول لمن يلقاه من قومه ، أبشروا بحادثة تأتيكــم قريبـــا فى أيـــــام تنسيكم وقعـــة بـــــدر ويخرج صفـــوان الـــى خارج مكة كل يوم ، يسأل الركبان عن عمير بن وهب وفى أحد الايام لقيه قادم من المدينة ، فسأله عن عمير ، فأخبره أنه أسلم ، فرجع صفـــوان مهموما مغموما ، وهو يحلف لا يكلم عميرا أبدا ولا يؤدى له منفعـــــة أبدا .

وقدم عمير الى مكة ، فأقام يدعو الى الاسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديدا ، حتى أسلم على يديه أناس كثيرون ، وعمير زوج عمـــة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى أروى بنت عبد المطلب .

— ٣ —

وجاءت معركة أحد ، وقتل فيها عم صفوان ، وهو أبى بن خلف ، قتلـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فازداد حنق صفوان على رسول الله وحربه وعداوته لله ولرسوله . وكان صفوان فى قلب المعركة ، وقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فى أثناء المعركة .

اللهم العن أبا سفيان
اللهم العن الحارث بن هشام
اللهم العن صفوان بن أمية

— ٤ —

وفتح رسول الله مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة ، وأذل الله الشرك والمشركين ، ونكس رايـــة الوثنية والبهتان ، وهدم الرسول صلى الله عليه وسلم الأصنام ، وترددت فى جنبات البيت الحرام شهادة التوحيد

ولكن الفتح لم يمض دون مقاومة من قريش ، لقد أسلم أبو سفيان قبل دخول رسول الله مكة بيوم ، بعد أن رأى بعينيه ما رأى ، وشاهد جيش محمد الذى لا قبل لقريش ومشركى مكة به ، ولا يستطيع أن يقاومه انسان ، وأسلم كذلك سهيل بن عمرو خطيب قريش وأحد أشرافهم وسادتهم يوم الفتح .

ولكن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وجموعا معهم ، قاوموا جيش خالد بن الوليد ، وهو يدخل مكة من أسفلها ، فقتل من المشركين أثنا عشر رجلا ومن المسلمين رجلان .

وبدأ السلام والأمان يعودان الى بلد الله الحرام ، وتردد النداء عاليا :

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

ومن دخل المسجد فهو آمن .

وخطب رسول الله الناس ، فأعلن العفو العام حتى عن رؤوس الشرك والضلال ، وقال لهم : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

وأرسل رسول الله الى : صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وأبى سفيان : فقال عمر : لئن أمكننى الله منهم لأعرفنهم ، فقال رسول الله : مثلى ومثلكم كما قال يوسف لاخوته : ((لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم)) .

وأسلمت زوجة صفوان ، وهى فاختة بنت الوليد بن المغيرة ، وذلك يوم الفتح ، وهرب صفوان الى حيث لا يعرف مكانه انسان الا ابن عمه عمير بن وهب .

وجاء عمير الى رسول الله يقول له : يا نبى الله ان صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليركب البحر الى اليمن فرارا وذعرا ، فهلا أمنته !!

وفى رواية أخرى أنه قال لرسول الله : أسألك أمانا لصفوان ، قد هرب ، وأخشى أن يهلك ، وانك قد أمنت الأحمر والأسود ، فأمنه يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم : هو آمن وفى رواية أدرك ابن عمك فهو آمن .

قال عمير . يا رسول الله ، فاعطنى آية يعرف بها امانك ، فأعطاه رسول الله عمامته التى دخل فيها مكة كما يروى ابن هشام : ويروى الذهبى فى ((سير أعلام النبلاء)) أن رسول الله بعث اليه ابن عمه عمير بن وهب بردائه أمانا لصفوان ودعاه الى الاسلام وأن يقدم عليه مكة .

وخرج عمير يريد جدة حيث صفوان قد هرب اليها ينتظر فيها سفينة يركبها ليذهب الى اليمن ، ويعيش هناك بعد أن هزمه الله ، وهزم الشرك والمشركين وفتح مكة على الاسلام والمسلمين .

وأدرك عمير صفوان وهو يريد أن يركب السفينة ودار بينهما هذا الحوار الغريب : يقول عمير لصفوان:

يا صفوان .

فداك أبى وأمى .

الله ، الله ، فى نفسك أن تهلكها .

فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به ويرد عليه صفوان :

ويحك ، أغرب عنى ، فلا تكلمنى

قال عمير :

أى صفوان .

فداك أبى وأمى .

أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه ، عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه

ملكك ، ويقول صفوان دعنى وطريقى لن أعود أبدا . ويقول عمير :

عد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، وأنت أنت ، ابن مكة وشريف العشيرة ، وسيد القوم ، ويقول صفوان : انى أخافه على نفسى . ويرد عمير هو أحلم من ذاك وأكرم ، وينتهى الموقف بنزول صفوان من السفينة ، ثم عودته مع عمير ابن عمه الى بلده مكة .

فلما قدم صفوان على النبى صلى الله عليه وسلم ناداه على رؤوس الناس : يا محمد ان هذا جاءنى بردائك يزعم أنك أمنتنى ، ودعوتنى الى القدوم عليك فان رضيت أقمت ودخلت فى دينك ، والا خرجت فى مدة شهرين لا أتجاوزهما .

فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقار وجلال وأناة وحلم :

صدق ، أنزل أبا وهب فيقول صفوان :

لا والله حتى تبين لى فيقول رسول الله : لك أربعة أشهر .

— ٥ —

وبعد قليل يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين فى شوال من العام الثامن للهجرة . وقبل خروجه يذكر له بعض أصحابه أن لدى صفوان أدرعا وسلاحا كثيرا ، فيبعث اليه ، ويقول له وصفوان يومئذ على شركه :

يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟

قال : بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك. قال صفوان : ليس بهذا بأس . فأعطى رسول الله مائة درع بما يكفيها من السلاح .

وخرج صفوان وهو على شركه مع رسول الله الى حنين وانتصر الاسلام فى حنين انتصارا مؤزرا ، وعاد رسول الله صلوات الله عليه بالغنائم والأموال ، ومعه صفوان ، فجعل صفوان ينظر الى شعب ملأى نعما وشاء ، وأدام النظر ، ورسول الله يرمقه ، فقال له الرسول :

أبا وهب ، يعجبك هذا ؟

قال : نعم .

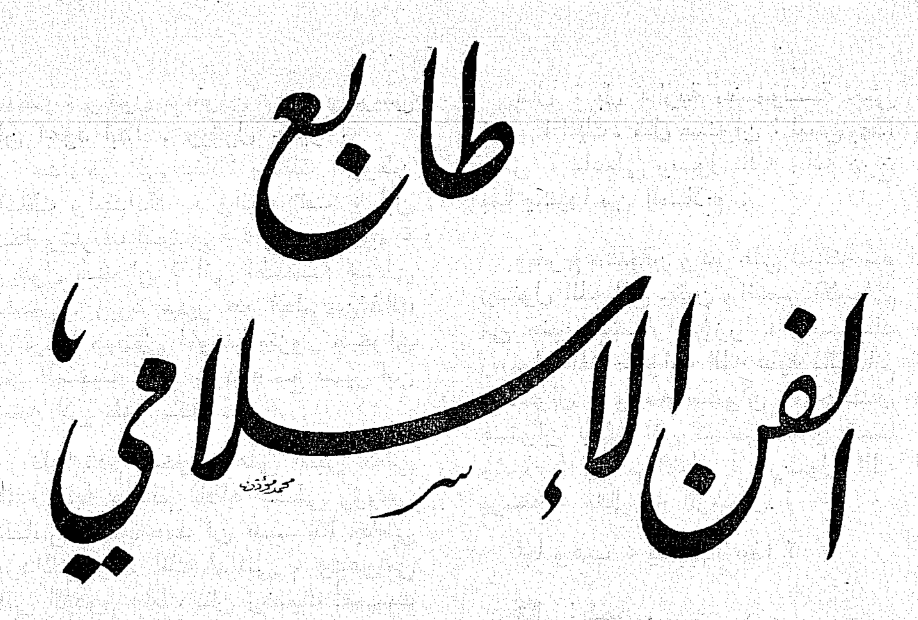
قال صلوات الله عليه : هو لك .

فقال صفوان : ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نفس نبى ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وكان ذلك فى آخر ذى القعدة من ثمان .

ويروى عن صفوان : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فما زال يعطينى حتى أنه لأحب الخلق الى واستقرض رسول الله من صفوان فى مكة خمسين ألفا ، فأقرضه أياها .

وعاش صفوان فى الاسلام يشهد انتصاراته ويحضر أيامه ، ويلقى حروبه فكان فى اليرموك أميرا على كتيبة من كتائب جيش المسلمين .

وكان فى غير اليرموك كذلك مجاهدا بطلا ، وعاش حتى توفاه الله الى رحمته عام ٤١ هـ . رحمه الله ..

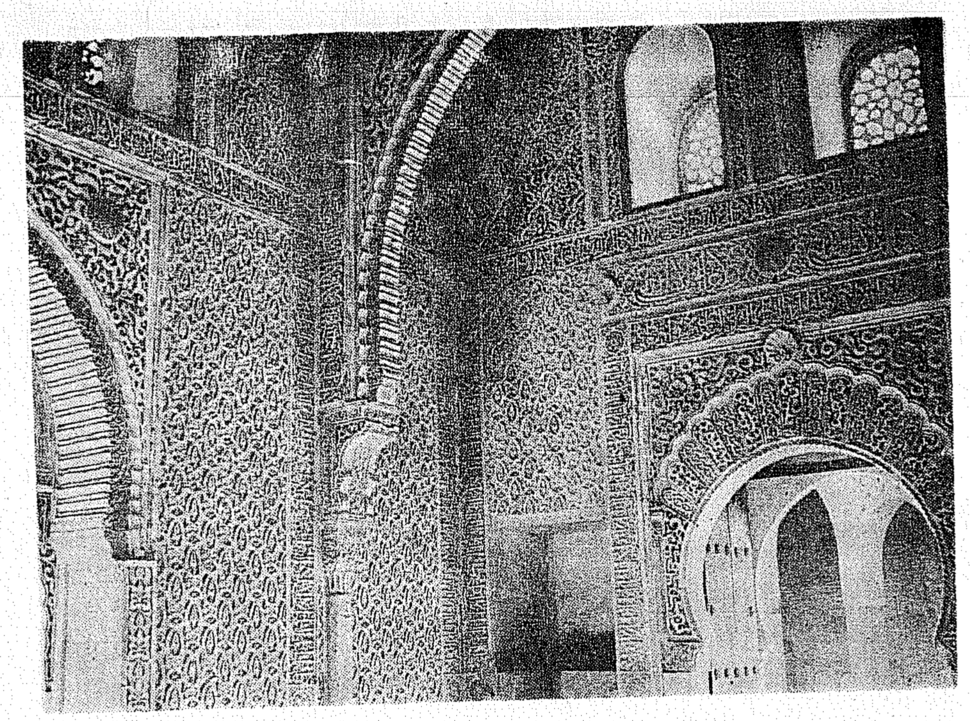


للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

طبع الدين الاسلامى الحنيف الفنون والعمارة الاسلامية بطابعه الخاص وكان تأثيره بالغا فكانت أصول الدين وتعاليمه هى القانون الذى سار الفنان على نهجه ووفق نصوصه لم يحد عنها ولهذا ابتعد عن التماثيل وتصوير الاشياء التى تعتبر فى نظره تقليدا للبارى سبحانه الذى هو خالق كل شيء ، كما امتنع الفنان عن الرسوم الآدمية والحيوانية احتراما لأوامر الدين ونظمه واعتمد فى الفن الزخرفى على رسم أوراق الاشجار والازهار وما تفرع منها وعلى اجزائها الى جانب الزخارف كأغصان الاشجار والأزهار والوريقات ، فسرت فى أعطافها مرونة تكاد تبعث فيها الحيوية ، وتجلت عبقرية الفنان فى التأليف بين الالوان المستخدمة فى الطلاء بطريقة تبهج النظر وتريح العين .

الفن المعمارى .

ابتكر المعمار المسلم نظام المسجد على نسق مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة الذى شيد على مساحة مربعة الشكل محاط بجدران من الآجر والحجر وكان سقفه قد غطى بطبقة من الطين وجاء تصميم المسجد بسيطا كبساطة الدين وابتكارا اسلاميا خالصا اذ وضعت



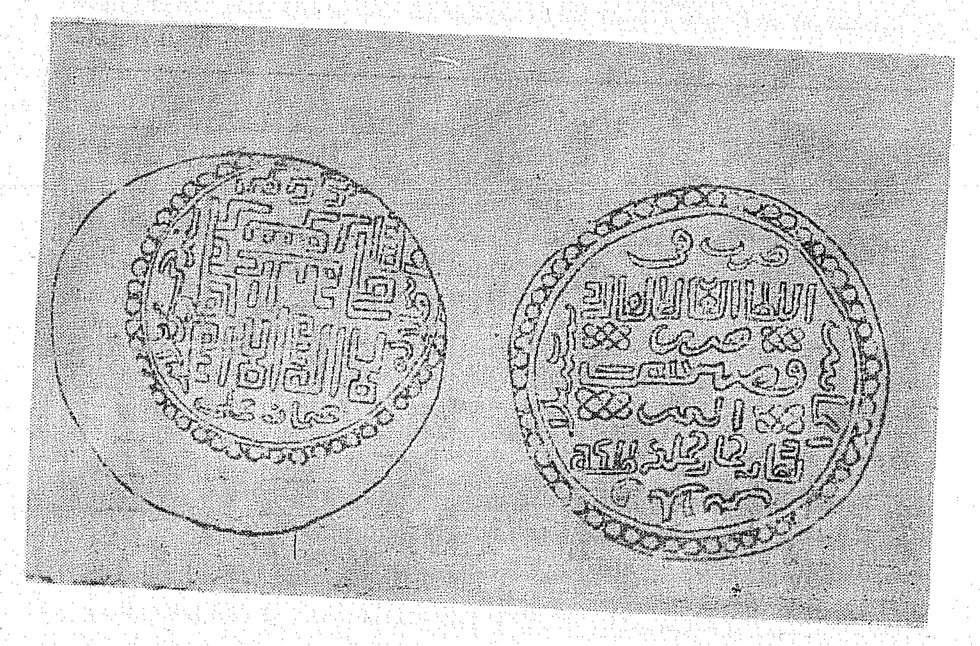
النقوش الرائعة داخل المحراب تحف بها الزخارف النباتية المورقة وتظهر الآيات القرآنية فى مناطق الاطار .

سقيفة للمسجد جهة الشمال حيث كانت القبلة الاولى للمسلمين نحو بيت القدس فلما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام ان يتجه فى صلاته الى مكة بالجنوب أقيمت سقيفة فى هذه الناحية وأصبح للمسجد ظلتان أولاهما ناحية الشمال والثانية ناحية الجنوب ودفعت سنة التطور أن يصل المعمار بين السقيفتين بظلتين أحداهما شرقا والثانية غربا وعلى هذه الصورة جاء المسجد الاسلامى الاول ايوان فى كل جانب يحف بصحن فى الوسط مكشوف وعلى مثال مسجد المدينة اقتبست المساجد فى كل الامصار الاسلامية وتطور الامر مع رخاء الامبراطورية الاموية فاستبدلت الاعمدة بدلا من جذوع النخل وزخرفت الاعمدة بالتيجان والجص كما زينت بطون العقود بكتابات من القرآن الكريم وأضيفت المآذن والقباب فى العصور التالية وعمد المعمار الى الاهتمام بالمسجد وتزيينه فصار ملتقى للناس من كل صوب وحتى يليق بما وصلت اليه الدولة من قوة ولا يجوز أن يقل فى رونقه وعظمته عن المعابد غير الاسلامية فى الطراز الزخرفى . وكان الخط العربى العنصر الاول فى الزخرفة فقد ساعد الخطاط لمرونته وقابليته للمد والانثناء والاستطالة والاستدارة التى تكسبه درجة كبيرة من الابداع والاتقان ، وقد استند الخط الى أصول هندسية وقواعد رياضية أصلها الالف وهى خط مستقيم يعتبر قطر الدائرة

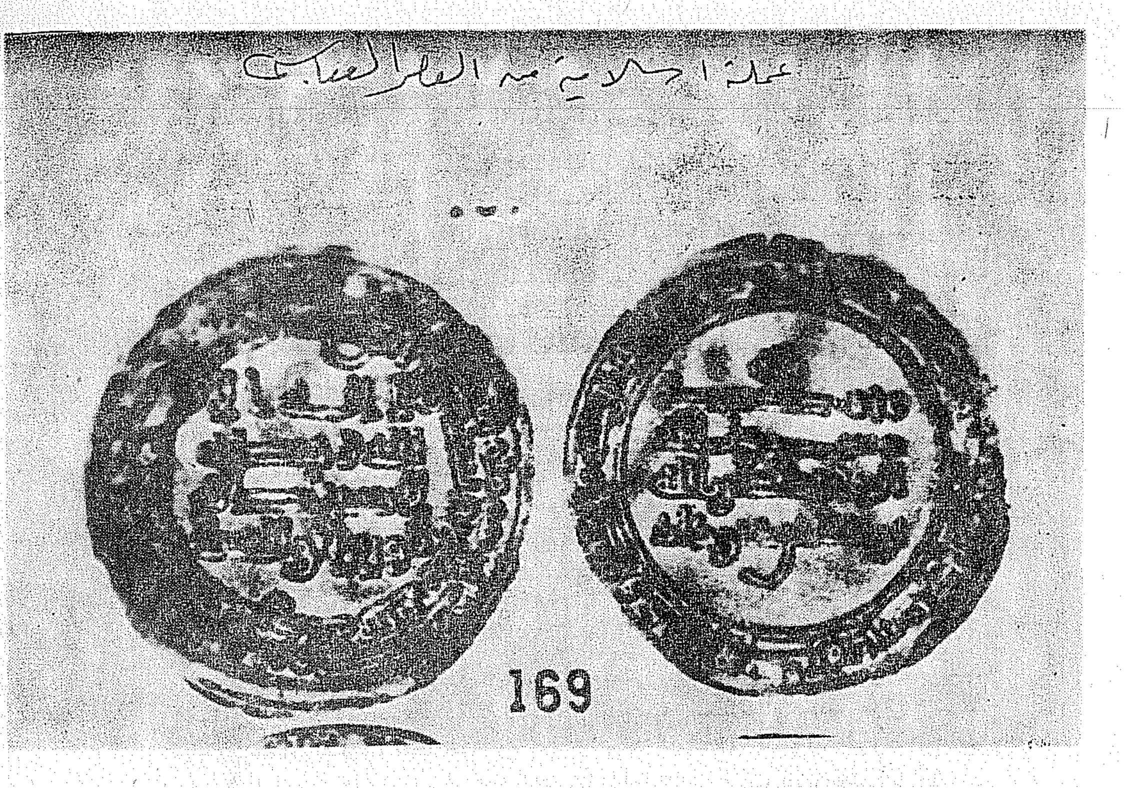
وبقية الحروف أجزاء منها تحيط بها ولو أعيدت جميع الحروف الى التسطيح وأزيل تقوسها لكانت من الالف بنسبة معينة ثابتة ولم يقتصر استخـــدام الخط العربى على كتابة المصاحف والاحاديث النبوية وأوامر الخلفاء بل زينت به المساجد والمبانى ، وانتقل الى العمائر الاوروبية كأسلوب زخرفى وقد وضعت المدرستان الشامية والعراقية النظم والمقاييس للخط العربى وعمدت المدرسة المصرية الى تجويده ، وابتكرت منه خط الطومار بأنواعه النسخ والثلث ، وابتدعت المدرسة العثمانية بعد استقدامها لأمهر الخطاطين العرب أنماطا جديدة منها خط الرقعة والديوانى والاجازة والهمايــونى واستحدثت فى الدولة التيمورية التى حكمت شرق الدولة الاسلامية خط التعليق الذى تجلت فيه الحياة والحركة وابتدعت خط النستعليق الذى جمع بين النسخ والتعليق وتميز بالخفة والسلاسة والمطاوعة .

الزخارف النباتيـــة :

يعمد الفنان المسلم الى استخدام الزخارف النباتية والبعد بها عن الطبيعة وعمد الى تطويرها ، فاستطالت الاغصان وتحورت الاوراق بطريقة انفرد بها الفنان وتميز بها ، وأصبحت سمة للفن الاسلامى على أنه جمع بين



عملـــة تيمورية



الخط والزخرفة فأخذ يجمل فى الحروف ويعدل فى أشكالها ويصعد ببعض أجزائها ويحذف منها ما يتنافى مع أصول الزخرفة من تناسق أو تقابل أو تناسب ويملأ ما بين سيقان الحروف بوحدات زخرفية كما ينهى الحروف بوريقات نباتية زادت الحروف بهاء وجمالا وهكذا بدت عظمة الفن الاسلامى فى الخط الكوفى المشجر (المزهر) والارابسك والزخارف النباتية التى امتلأت بها تيجان الاعمدة فى المساجد والقصور .

وأبدع الفنان المسلم فى استخدام العناصر الهندسية كالدوائر المتشابكة والأشكال المتعددة الاضلاع كالمثمن والمعين واهتم بالجمع بين الرسوم الهندسية والنباتية والخط الكوفى فى نظام وتناسق بديع يدل على ذوق وأحساس مرهف .

الجص :

وتميز الفن الاسلامى باستخدام الجص على أوسع نطاق فى تزيين عقود المبانى والجدران على هيئة طراز يجرى عليها بالزخارف الهندسية أو النباتية أو بالكوفى أو على هيئة مناطق مستديرة أو معينة بداخلها زخارف نباتية رائعة ، وقد ظهر استخدام الجص فى تسافرا التى شيدها الخليفة المعتصم العباسى عام ٢٢١ هـ ثم أنتقل الى مسجد ابن

طولون بالقطائع ، ثم تطور فن الزخرفة بالجص فبلغ درجة عالية من الاتقان فى العصر المملوكى فاستعمل فى سد النوافذ كما ملىء الفراغ والثقوب بالزجاج الملون .

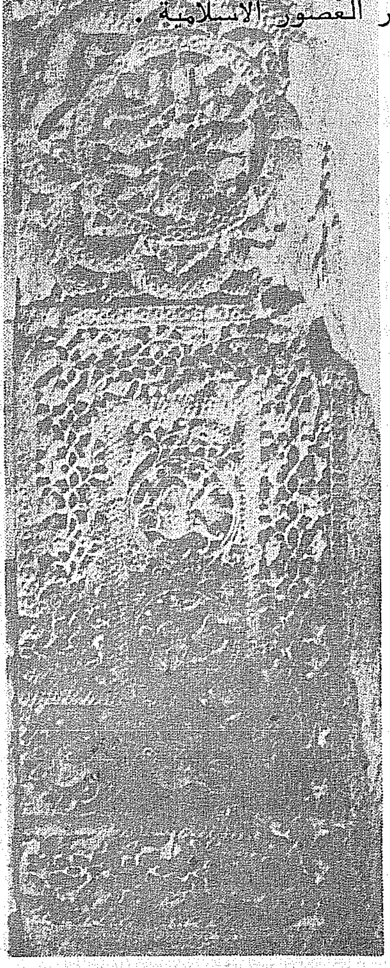
وانفرد الفنان الاندلسى خاصة بتغطية المساحات كلهـا بالرسوم واستخدام الخط الكوفى ذى الحروف المتشابكـة . ويظهر هذا فى قصور غرناطة الى جانب الاسراف فى استعمال المقرنصات (الدلايات) بصورة لم يسبق لها مثيل ، ومن أجمل القباب قبة قلاوون بالقاهرة التى ملئت فتحات النوافذ فيها بالبرونز والجص وتتجلى فيها براعة الفنان وحذقه فى أبهى صورة ويخال من يشاهدها أنها قطعة نسيج تفنن النساج فى تطويرها كما طعمها بقطع من الفسيفساء التى تبدو كعش النحل أو الرواسب الكلسية التى تكونها الطبيعة فى الجبال بسقوط نقط من الماء من أعلى الكهوف فتتدلى فى صورة بديعة وفى الحفر على الخشب اهتدى الصانع الـى طريقـة التعشيق والتجميع والخرط ويعتمد على تزيين الاسطح المراد تزيينهـا بحشوات من الخشب تقطع على أشكال هندسية منتظمة من مثلثات أو مربعات أو مخمسات أو مسدسات أو مثمنـات وتثبت بطريقـة التعشيق .

١ ـ استغل الخطاط الكوفى عنصرا زخرفيا فخرجت من أطرافـه سيقان نباتية ووريقات ذات فصوص وتجمع الحشوات معا فوق السطح ليتكون منها زخارف هندسية أونباتية ، وقد استخدم اسلوب الخرط فى عمل المشربيات فى المساكن فى العصر المملوكى ليسمح بدخول الهواء والضوء فى فصل الصيف ويمكن السيدات من رؤية ومشاهدة من فى الخارج ولا يراها المارة ، وقد تطورت صناعة الحفر عـلى الخشب أيام الطولونيين والفاطميين لكنها وصلت الى الذروة فى الاتقان فى العصر المملوكى وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة نماذج لهذا النوع كتابوت الامام الشافعى الذى عنى الصانع بزخرفته وتنميقه وهو يزدان باشكال نجمية غاية فى الدقة والجمال وتزينه كتابات كوفية ونسخية رائعة وتتألف جوانبه وغطاؤه من حشوات صغيرة منقوشة بزخارف نباتية بديعة .

الصناعات الخزفية والزجاجية .

وكان أثر الدين السمح واضحا فى صناعة الخزف والاوانى الزجاجية مما دفع الصانع المسلم للنهوض بهذه الصناعة وابتكار أنواع جديدة مـن الخزف ذى بريق معدنى يضاهى الاوانى الذهبية التى كره المسلمـون استخدامها فظهر نوع من الخزف ذى البريق المعدنى جاء بتوجيه الدين ووحيه فأمعن الصانع فى انتاج خزف له جمال الذهب وبريقه ، وذلك بتغطية الخزف بطبقة شفافة من الميناء القصديرية ترسم عليها الزخارف بأكاسيد معدنية بعد حرقها وآنذاك تتحول الأكاسيد باتحادها مع الدخان الى طبقة

معدنية دقيقة ، وهكذا ابتدع الصانع المسلم طلاء مشتقا من أكسيد الفضة عرف بالبريق المعدنى كما اكتشفوا فى صناعة الزجاج طريقة التذهيب بوضع الزخارف على الاناء بالريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفرشاة فى المساحات الكبيرة ، ويعد حرق الاناء للمرة الاولى يحدد موضع الرسم باللون الاحمر ثم يطلى بالمينا التى تعتمد على الأكاسيد المعدنية كما ابتكروا مزج ذرات الذهب بالزئبق وتوضع الأوانى بالأفران فيحترق الزئبق فيبقى الذهب عالقا فى صورة رائعة وهكذا استطاع الفنان والمعمار المسلم أن يظهرا نبوغهما وتفوقهما فى رسوم مغيرة تتمشى مع تعاليم الدين وتقاليـــد الاسلام وأصبح الدين مصدر الالهام والوحى للفنان لا يحيد عنه فاعتمد فى رسومه على الزخارف النباتية والهندسية لعمق العقيدة الاسلامية فى الفنان والمعمار عبر العصور الاسلامية .

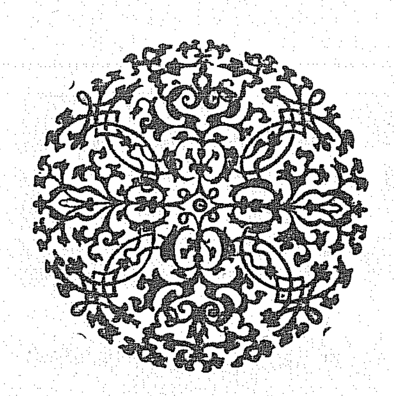


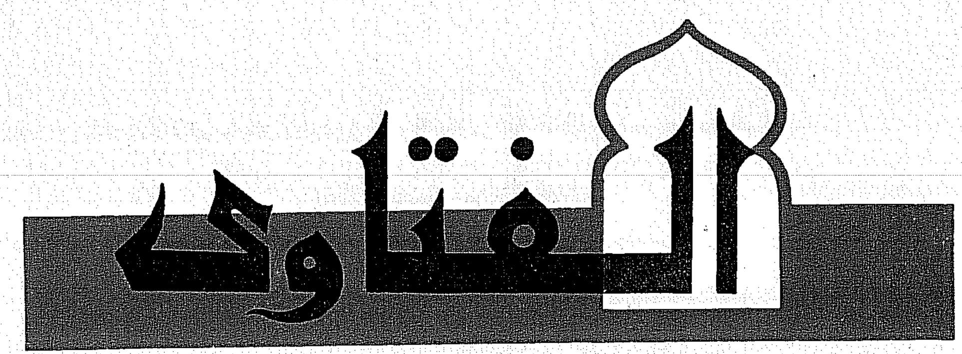
زخارف من الجص المفرغ فى قعر الطوبة .

وفى القرن الثامن عشر أى بعد حوالى قرن ردد « جان جاك روسو » ــ الذى يعتبر بحق أبا الديمقراطية الحديثة فى أوروبا ــ آراء « هوبز » ولكن بصورة مختلفة ، فاذا كان المفكر الانجليزى « هوبز » يرى أن الجماعة ليست من فطرة الانسان وانما اضطر اليها بحكم حاجته الى الاستقرار وتبادل المنافع ، وان حالة الانسانية الاولى كانت فى شقاء دائم ، وان الانسان كان يعيش فى جو ملىء بالصراع والنزاع وعدم الاستقرار ... فان « روسو » كان ينادى بالرجوع الى عهد الفطرة ، والى حياة الطبيعة ، لأنه عهد تساوى فيه الناس جميعا ، ولم يعش أحدهم عالة على الآخر ، ولم يكدس بعضهم المال على حساب الآخرين ، وانما عاش الناس جميعا فى أحضان الطبيعة ، وتمتعوا بخيراتها على قدم المساواة .

ومهما اختلفت وجهة النظر الاوروبية فى حالة الانسان قبل أن يهتدى الى اشكال الحكومات وهل كانت الانسانية شقية أو سعيدة ، فان نشأة الحكومات ، أو العقود السياسية فى الفكر الاوروبى انما نشأت نتيجة للوهم والافتراض والتخيل . أما الفكر السياسى الاسلامى ، فقد نشأ نتيجة للواقع ، وتطور الأحداث التاريخية ، كما حدث فى اجتماع السقيفة فالعقد السياسى الاسلامى نشأ فى وضح النهار ، نتيجة لهذه الارادات الانسانية الحرة فهو عقد حقيقى وليس عقدا خياليا كهذا الذى تصوره « هوبز وروسو » بعد الاسلام بقرون طويلة .

فما أحوجنا نحن المسلمين ، أن نفكر فى تراثنا الفكرى الاسلامى ، ونبعثه فى ثوب جديد ليقف شامخا أمام الفكر الأوربى الذى يغزونا فى عقر دارنا ، ويحاول أن يوهمنا بأن أصالته لم تسبق ، مع أن الفكر الاسلامى فى الحقيقة أسبق منه بحوالى عشرة قرون فى فكرة العقد السياسى مع الفارق الكبير فى الأساس الذى قامت عليه فكرة العقد السياسى فى الاسلام ، والعقد السياسى فى الفكر الأوروبى كما كشف عن ذلك هذا المقال .





معاملــة الأولاد

رجل يملك ثروة من عقار ومال ، وعنده زوجة ، وأولاد ، منهم ذكــور ، ومنهم اناث ، وقد زوج بعض بناته ، وعلم بعض أولاده الذكور والمرجو الاجابة على الأسئلة التالية :

١ — هل يجوز له أن يحرم بعض أولاده العاقين ؟
٢ — هل يجوز له أن يحرم الولد الذى علمه وأصبح له وظيفة ؟
٣ — هل يجوز له أن يميز بعض أولاده ؟
٤ — هل يجوز له ان يخص بشىء من المال الصغير من أولاده ومن لم يكمل تعليمه منهم وكذلك البنات اللاتى لم يتزوجن ؟

الاجابـــــة :

يجب على الوالد أن يسوى بين أولاده فى العطية والهدايا والانفاق قــدر استطاعته ، ولا يجوز له أن يفضل بعضهم على بعض الا لمبرر ، فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((سووا بين أولادكم ولو بشق تمرة)) ، وأمر عليه الصلاة والسلام ألا يفعل الانسان شيئا يحمل أولاده على عقه ، فقال : ((لعن الله ما استعق ولده)) .

واذا أنفق الوالد على أحد أولاده نفقة ذات قيمة بأن زوجه ودفع له مهر الزوجة ، أو أنفق على تعليمه حتى أوصله الى وظيفة ذات غناء أو جهز احدى بناته كان عليه أن يعوض سائر ولده الآخرين بمقدار ما أنفقه على ولده الأول .

ويجوز تفضيـــــل بعض الأولاد على بعض لمبرر شرعى ، ومـــن المبررات الشرعية العاهات المانعـــة من الكســـب كالعمى والشلل ، وكذلك العجز عـــن التكسب .

الحلف بالنبـــى

الســــؤال :

بعض المسلمين يحلف بالنبى ويقول (وحياة النبى) فهل هذا يمين له كفارة عند الحنث ، وما هى الكفارة ؟

الاجابـــــة :

قال صلى الله عليه وسلم : ((من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)) ومعنى

هذا أن الحلف بغير الله لا يجوز ، ولا يلزم كفارة لأنه ليس يمينا شرعية .

ليلة النصف من شعبان

الســـؤال :

هل ورد فى فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث صحيحة ، وهل يسن فيها صلوات خاصة ودعاء مخصوص ، ثم هل هى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم .

الاجابـــة :

أقوال اكثر المفسرين على ان الآية الكريمة « انا انزلناه فى ليلة مباركة » تعنى ليلة القدر ، وانها ليست ليلة النصف من شعبان .

والدعاء المعروف بدعاء ليلة النصف ليس له مستند صحيح فى السنة ، والصلوات المخصوصة التى يصليها بعض الناس فى ليلة النصف ليست من عمل السلف الصالح وحديث « اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا ، فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتل فأعافيه ، ألا سائل فأعطيه ، ألا كذا ألا كذا .. ألا كذا حتى يطلع الفجر » والحديث المروى عن السيدة عائشة فى فضل هذه الليلة . لا شىء من هذين الحديثين صحيح .

فليلة النصف من شعبان ليست هى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، ولم يرد فى فضلها ولا فى احيائها بالصلوات حديث يعول عليه ، والدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف لا أصـــل له .

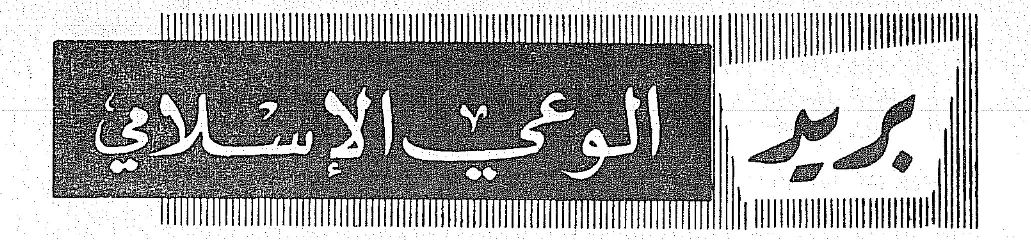
الدعاء فى الصـــلاة

هل تصح الصلاة اذا دعا المصلى فيها بأدعية دنيوية وأخروية كأن يقول : « رب اغفر لى وارحمنى ونجح فلانا ، ووفقنى فى بيع السيارة » .

الاجابـــة :

مذهب المالكية ان الدعاء فى الصلاة جائز بكل ما يشاء الداعى مما يجوز شرعا الدعاء به ، ولو كان الدعاء بأمر دنيوى من اللذائذ والنعيم ، وأصح مذهبى الشافعية والحنابلة كمذهب المالكية .

والحنفية لا يجيزون الدعاء فى الصلاة بما يشبه كلام الناس ومعـــاشهم الدنيوى .



السيد البدوى

السيد البدوى أحد الصوفية المعروفين ، وله شهرة كبيرة فى مصر وغيرها من الدول الاسلامية فما اسمه الحقيقى .

اسمه أحمد بن على ابراهيم ولقبه البدوى لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو شمال افريقيا . ولد بفاس ، وحج طفلا مع أبيه ، وذهب الى العراق ثم دخل مصر واستقر بطنطا ، وبها توفى ، وله طريقة تعرف بالأحمدية وشارة أتباعه العمامة الحمراء والعلم الأحمر .

الرتب العسكرية

فى الجيوش رتب عسكرية مختلفة كل رتبة منها تدل على درجة حاملها ومهمته ، فهل عرفت الجيوش الاسلامية فى العصور الأولى هذه الرتب .

أول نظام وضع لتحديد مراتب الجيش الاسلامى كان فى أيام عمر بن الخطاب حين أنشأ الديوان لضبط عطاء الجيش ، فجعل الناس أعشارا على كل عشرة عريف ، ولما اختطت الكوفة والبصرة غيرت العرفاء والأعشاء ، وجعلت أسباعا وفى أيام الخليفة الأمين جعل على كل عشرة عريفا ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيبا ، وعلى كل عشرة نقباء قائدا ، وعلى كل عشرة قواد أميرا .

ولم تكن الرتب العسكرية ثابتة أو متشابهة فى جميع الدول الاسلامية ، ففى مصر أيام السلاطين المماليك قسمت كالآتى :

الطبقة الأولى : أمراء المئين ، ويقال لهم : مقدمو الالوف ، وكانت عدة كل منهم مائة فارس ، وله التقدمة على ألف فارس .

الطبقة الثانية : الأمراء ، وعدة كل منهم فى الغالب أربعون فارسا يكونون فى خدمته .

الطبقة الثالثة : أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فرسان يكونون فى خدمته .

الطبقة الرابعة : أمراء الخمسات .

ولما استحدثت النظم العسكرية فى الدولة العثمانية ابان القرن التاسع عشر أخذت بها بعض الدول التى كانت خاضعة لها ، واستخدمت فى الدول العثمانية الرتب التالية : (١) الملازم الأول والثانى (٢) اليوزباشى ، وهو الرئيس اليوم ، (٣) الصاغ وهو الرائد (٤) البكباشى وهو المقدم الآن (٥) القائمقام وهو العقيد (٦) أميرالاى وهو العميد (٧) اللواء وهو الزعيم فى بعض البلدان العربية ، (٨) الفريق أو قائد الفرقة (٩) المشير هو أكبر الرتب العسكرية .

بـــدوح

الســؤال :

كثير من أصحاب الرسائل يكتبون على ظروفها كلمة بدوح فما أصل هذه الكلمة ، وما السر فى كتابتها؟

الاجابــة :

ان التجار وأرباب الرسائل والأموال فى بلاد العرب كانوا يكتبون تلـــك الكلمة على بضاعتهم ورسائلهم تحصينا لها من الضياع اذ يعتقدون أن تاجرا من أهل الحجاز كان يسمى بدوحا ، وكان التجار من أهل عصره اذا وجهوا تجارتهم الى بعض الجهات نهبها اللصوص الا ذلك التاجر فان بضاعته ورسائله لا يتعرض لها أحد بسوء ، فتصل سالمة ، وما أن توفى هذا الرجل حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضاعتهم ورسائلهم ، فكانت تسلم من الأذى ، وكانـــوا لا يكتبونه بالحروف ، بل مما يقابلها من الأرقام ، فى حساب الجمل هكذا (٨٦٤٢) وكثير من الناس قديما كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتيمن ورفع الأذى .

تعقيـــب

تعقيبا على مقال (حكمة الاسلام فى تحريم لحم الخنزير) للزميل الدكتور أحمد شوقى الفنجرى بالعدد ٧٨ من السنة السابعة أود أن أضيف الآتى :

١ ــ أن لحم الخنزير له عدة أسماء مما يجعل كثيرا من المسلمين حسنى النية يقعون فى استعماله بدون قصد :

أ ــ الاسم العادى له (يورك) .

ب ــ الاسم الثانى (باكون)

جـ ــ الاسم الثالث (هام)

ويكثر وجود الباكون والهام فى أسواق الكويت والبلاد العربية ويخلط فى غذاء الأطفال .

٢ ــ لو خطرت فكرة اقامة مزارع للحم الأغنام بالذات على أى مسلم غيور ويقوم بتنفيذها فى بلد مثل بريطانيا أو فرنسا حيث تكثر المراعى فالى جانـــب الربح الطائل فان كثرة وجود لحم الأغنام سيحل بالتدريج مكان لحم الخنزيـــــر حيث شاهدت الألوف من الانجليز يقبلون على أكل لحم الأغنام ولولا أنه مرتفع السعر لكان فى متناول الجميع ، فكل الشعوب الاوروبية شعوب مادية بحتة ولو توفر لها ذلك لأقلعت عن أكل لحم الخنزير ــ وهذا طبعا اقتراح يحتـــاج لبضع ألوف من الدنانير لكى يبدأ .

هذا ما أردت أن أذكره والله ولى التوفيق .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(دكتور : فاروق محمود مساهل ــ مجمع الجهراء ــ الكويت) .



حقيقــة الاسلام

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ ـــ فكرى زكى الجزار ـــ الاسلام روح وجسد .. فاذا ما انفصلت روحه عن جسده فلا وجود له البتة ، ولن يجـدى نفعا فى دنيا الناس ... فحينئذ تتقاذفه السنــة السفهــاء بأنه لا صلــة لــه بشئون الناس ونظم الحياة والمجتمع يقولون ذلك لأنهم يرونه شيئا ناقصا ... أو بمعنى آخر يرونه جسدا بلا روح ، أو روحا بلا جسد .

ولكن ما روح الاسلام ... وما جسده ؟

ان روح الاسلام هو ـــ التوحيد الخالص من الشوائب الذى يبعث فــى نفس الانسان العزة والكرامة ويضىء فى قلبه نور الايمان الحق ، والمعرفــة الصادقة .

ولن يكون التوحيد ساميا الا اذا أفردنا المكان الاول لله فى قلوبنا ، وكنا على قلب رجل واحد ، ونهجنا فى الحياة كما يخاطبنا الله بقوله جل شأنه ((**وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**)) ((**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**)) .

تلك هى حقيقة التوحيد .. وأسمى ما جاء به الاسلام ، وأجل ما يؤمن به الناس ويهتدون بنوره فى مدلهمات الحياة .

أما جسد الاسلام فهو ـــ هذه القوة الكبرى ، والسبيل الاوحد الذى يحفظ للاسلام شريعته وينفذ أحكامه بين الناس ، هذا الجسد هو الهيئة الحاكمة التى تحكم بما أنزل الله ، وتهتدى بنور الاسلام فى دياجير الحياة ، وظلمات الطغيان والفساد ... طغيان الاغنياء وفساد الفقراء .

فالغنى اذا لم يجد قوة حاكمة تردعه عن تبديد أمواله واستئثارها لذاته ـــ دون الفقراء ـــ طغى بماله واستبد بجاهه ، وظلم الفقير حقه .. وتلك أهم سبل الفساد والاضطراب الاجتماعى .

والفقير اذا لم يجد من يحميه ويحفظ له حقه ، ويقوم برعاية شئونه ... فسد فى الارض وابتغى حقوقه من سبيل السرقة والنهب والافسادفى الارض وناهيك ما يحمله قلبه من حقد وضغينة لاولئك الذين ينعمون بالمال ، وينفقونه فى سبيل لذاتهم الدنية ، ومآربهم الذاتية .

لذا يمزج الاسلام بين الدين والدولة ـــ لينال كل ذى حق حقه فى الحياة ـــ فالدين والدولة جزآن لا يفترقان ، وكما أن الدين جزء من الدولة فالحكومة جزؤه الثانى ، بل هو الجزء الاهم .. وصدق الــذى يقول .. ان الله يــزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

وحـــدة الأمـــة

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند :

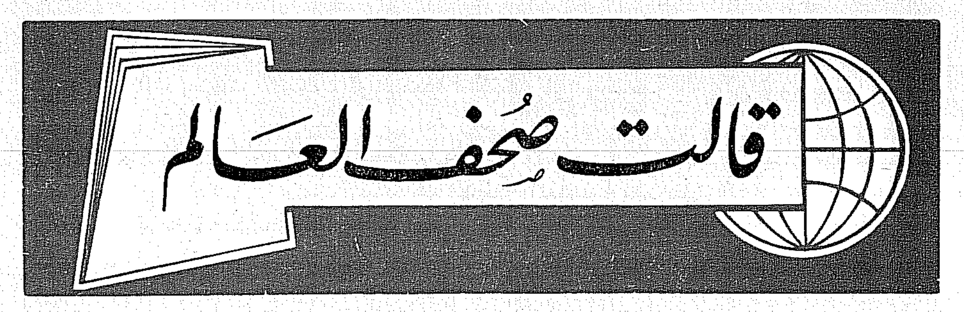
ان الله عز وجل أمرنا بالاعتصام بالدين والاجتماع عليه ، ونهانا عن التفرق والاختلاف ، وحثنا على الأخذ بأسباب الاجتماع والائتلاف ، وشرع لنا عبادات واوجبها ، وجعلها من أقوى أسباب الاجتماع ، يلتقى المسلم مع أخيه المسلم ويعرفه . يعرف ما هو عليه من صحة واستقامة وما يحس به ويتألم منه فينصره أن كان مظلوما أو ظالما ويواسيه ان كان محتاجا ويرشده الى الخير ويعينه عليه .

والشيطان والعياذ بالله منه حريص كل الحرص على تثبيط المسلم وصرفه عن الخير وعن كل ما ينفعه والانسان مهدد من ناحيتين ناحية التفريط والاهمال والتثاقل عن أداء الواجب وناحية الافراط والزيادة والغلو فى الدين فاذا عرف الشيطان ميل العبد الى الكسل والتفريط وعدم المبالاة بالاوامر دخل من هذا الباب فأضعف عقيدته وجعله يتهاون بأوامر الله وشرعه فلا يؤدى الواجبات كاملة ولا يحافظ عليها .

واذا وجده يميل الى الغلو والزيادة والافراط دخل من هذا الباب فلا يزال به حتى يخرجه من حدود الدين ويزين له أعمالا ليست مشروعة ولا هى من الدين فيتعبد ويتقرب بعبادات وأعمال لم تشرع ولم يأذن بها الله تعالى فترد أعماله عليه وتضربه حيث لم يكتف بما شرعه الله له على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلا الطرفين قبيح ، ومذموم والشيطان عدو الانسان لا يبالى بأيهما ظفر من العبد اذ غرضه اضلاله وافساد عمله .

ان المسلمين اليوم فى حالة يرثى لها تفكك فى المجتمع وأختلاف فى المشارب وجهل فى الدين واعراض عنه واهمال للمصلحة العامة واقبال على المصالح الخاصة وشح فى المال واسراف فيه وفساد فى الاخلاق واقبال على الملذات والشهوات وتقليد الكافر الأجنبى فى كل ما جاءنا به ، وتخاذل .. وتباغض بين الاخوان وتقاطع فى الارحام بانتقاض عرى الاخاء بين عموم المسلمين وانصراف كل فرد الى هواه وشهوته ثم فشل وضعف زلزلا كيان المسلمين وذهبا بمجدهم وجعلاهم فى ديارهم أذلاء وفى مواطنهم غرباء وفى دينهم ضعفاء وكل فرد منهم بعيدا عن أخيه وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية فأين نحن مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ثم شبك أصابعه . رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

ان عصرنا الحاضر يطلب من المسلمين أن يتمسكوا بدينهم فالدين الاسلامى هو الدين لم يتغير ، وان أول شىء يجب علينا عمله هو العمل بالصالحات والتواصى بالحق والتواصى بالصبر وان كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى سلاح ماض وجيش غلاب — وعدة قوية تنفعنا فى البأساء والضراء وتدفع عنا كيد الاعداء الكافرين وتحررنا من ذلة الاستعباد وتبوؤنا المكانة السامية تلك هى تمسكنا بقول لا اله الا الله والعمل بمعناها والله المستعان .



عناية المغرب بحفظ القرآن والحديث

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الميثاق المغربية تقول :

نشرت الصحف أخيرا أعلانا عن مباراة جديدة لحفظ الاحاديث النبوية الشريفة تشرف عليها وتنظمها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، والفكرة فى حد ذاتها فكرة طيبة وصائبة وخطوة مباركة موفقة تهدف أولا وقبل كل شىء الى احياء أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ودفع الهمم لحفظها عن طريق التشجيعات الادبية والجوائز النقدية الهامة بعد ما أصبح حفاظ الحديث أقلية قليلة أعز من بيض الانوق كما يقال .

ولعلنا بهذا العمل نريد أن نتلافى بعض النقص الذى أحسسنا به وهو ضياع الحديث من صدورنا بعد ما كان المغاربة مضرب المثل فى حفظ الاحاديث بمتنها وسندها وسبب ورودها ويوم أسست دار الحديث الحسنية تفاءلنا وتبادر الى ذهننا ان هذه الدار ستخرج مجموعة من الحفاظ يباهى بهم المغرب الاقطار العربية والاسلامية بالاضافة الى تبحرهم وتضلعهم فى علوم التفسير والحديث ، واذا كنا نبارك هذه البادرة الطيبة من طرف الوزارة ، ونثنى عليها أحسن الثناء فاننا نود أن تولى نفس الاهتمام الى حفاظ القرآن الكريم وتهيىء لهم جوائز هامة فى كل مناسبة دينية فالمغرب كما عرف فى مختلف العصور بحفظ أبنائه للاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله عرفوا بحفظهم للقرآن واستظهارهم لسوره وآياته والالمام بقواعد تجويده وطرق رسمه والاهتمام بعلم القراءات وعرضها وكانوا من أكبر الباحثين والمؤلفين فى العلوم التى لها أتصال بالقرآن ، ولقد أسست فى عهد المرينيين مدرسة السبعيين بفاس لمن يحفظ القرآن بالقراءات السبع والمكتبة القرآنية بالمغرب زاخرة بالمؤلفات المخطوطة والمطبوعة فى هذا الموضوع ، لكن الذى نخشاه اليوم ان يضيع القرآن من الصدور كما ضاع الحديث منها ، وان يصبح الذين يحفظون القرآن كله حفظا متقنا مستوفيا لشروط التلاوة كحفاظ الحديث لا يتجاوزون أصابع اليد .

ان الحقيقة المرة التى نعلنها ونجهر بها هى أن حفظ القرآن فى تناقص مستمر ، وان الجيل الصاعد لا يحفظ من القرآن قليلا ولا كثيرا ، والكتاتيب القرآنية المؤسسة حديثا لم تؤد دورها الذى أسست من أجله ، ولعلها بوضعها الحالى أن تكون عرقلة كبرى فى وجه من يرغب فى حفظ جزء كبير منه وخسارتنا

فى ضياع القرآن من صدورنا خسارة عظمى لا تعوض ، فعلى الذين يحاولـــون انقاذ التراث وبعث الامجاد ان يعيدوا النظر فى وضعية القرآن ووضعية البقية الباقية من حامليه وذلك بتأسيس المدارس القرآنية والعناية بها والسهر عليهـــا وتخصيص المنح والجوائـــز لطلابها ، ورد الاعتبـــار لحفظة كتاب الله بتحسين وضعيتهم وتوظيفهم واسناد المناصب الدينية المناسبة لهم على غرار ما هو موجود بالاقطار الشقيقة كالجزائر وليبيا .

ان الفراغ الروحى الذى نشعر به فى أعماق نفوسنا لا يأتينا من الشرق ولا من الغرب وانما يأتينا من ابتعادنا عن القرآن ولئن تقاعسنا عن وضع القرآن فى اطاره اللائق به كدستور سماوى وقانون الهى نحتكم اليه فى معاملاتنا وشؤوننا فلن نتقاعس عن وضعه فى متناول أطفالنا وابنائنا ليستظهروه كله أو بعضه وأخشى ما أخشى أن يصدق علينا قوله تعالى **((ومن أعرض عن ذكرى فأن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى))** .

الاسلام والحضارة

نشرت مجلة الحوادث البيروتية حديثا مع العقيد معمر القذافي جاء فيه :

البعض يتساءل هل لدى الاسلام ، ما يقدمه للحضارة الانسانية فى أزمتها الحاليـــة .. ؟

وبكل الحماسة الممكنة لرئيس دولة أجاب :

ـــ مؤكد .. ان الحضارة العالمية أصبحت كالانسان الآلى .. كتلة من الصلب ، ولكن بلا روح ، بلا قيم .. والاسلام يستطيع أن يمنحها ما هى بحاجة اليه .. شرط أن يرتفع الانسان الى مستوى الاسلام . المشكلة ليست فى تخلف الاسلام عن احتياجات العصر ، بل فى تخلف الانسان المعاصر عـــن مستوى الاسلام ، مستوى فهم الاسلام .

تؤكدون اذن على دور العقيدة فى بناء الدولة العصرية ؟

ـــ مؤكد .. لا وجود حقيقيا لاى دولة أو حركة قومية بلا عقيدة ، العالم كله يبحث عن نغمة روحية تبعث الحياة فى الهيكل الآلى الميت الذى يوشك أن تتحول اليه البشرية .

ومهما وصل الانسان من تقدم ، وحلق فى الفضاء فلا بد من أن يعود الى الله ، أننى على ثقة من ذلك ، وقد أبرقت بهذا المعنى الى الاتحـــاد السوفيـــاتى معزيا بوفاة رواد الفضاء . ولكنهم لم يذيعوا البرقية !



اعـــداد الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الكويت : يدرس مجلس الوزراء موضوع تقديم الدعم المـــالى لمشروع أقامـــة مدرسة لتعليم اللغة العربية ومبادىء الدين الاسلامى لابناء الجاليات الاسلامية فى واشنطن .

● عاد معالى الاستاذ راشد الفرحـــان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من زيارته الرسمية للاتحاد السوفيتى حيث تفقد خلالها أحوال المسلمين هناك .

● احتفلت الوزارة بليلـــة الاسراء والمعراج فى مسجـــد السوق الكبير وألقى معالى الوزير كلمة مناسبة فى الحفل .

● أبدت الوزارة اهتمامها بالمعهد العالى للدراسات الدينية الذى أفتتح فـــى طشقند وستمده بالكتب الاسلامية .

● قامت الوزارة بتوزيع الجزء الثانى من كتاب ((المطـــالب العالية بزوائـــد المسانيد الثمانية)) على الهيئات والمهتمين بالثقافة الاسلامية .

● شاركت الوزارة عن طريق المحاضرات وخطب الجمعة فى الاحتفال باليـــوم العالمى لمحو الأمية .

● زار البلاد وفد من المركز الاسلامى الاسبانى للتباحث فى أمـــور ثقافية .

● قررت الوزارة تزويد (١٠٠) مسجد بأجهزة تكييف الهواء .

● تبدأ الدراسة فى دار القرآن الكريم فى الشهر القادم .

● تستضيف الوزارة عددا من كبار علماء المسلمين والقراء لاحيـــاء الموسم الثقافى فى شهر رمضان القادم .

القاهـــرة : وافق الشعب العربى فى مصر وسوريا وليبيا على اتحاد الاقطار الثلاثة فى دولة (اتحاد الجمهوريات العربيـــة) .

● ستقوم بعثة من جمعية الشبان المسلمين برحلـــة الى بعض الدول الاسلامية لشرح خطـــة تكوين البنك الاسلامى الذى تساهم به الدول الاسلامية والجمعيات الاسلامية .

● سيزود المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الهند واليابان وأفغانستان والاردن بالمكتبات الاسلامية .

السعودية : تواصل السعودية ومصر مساعيهما لحل النزاع بين الفدائيين والسلطـــات الاردنيـــة .

● احتجت رابطة العالم الاسلامى لدى الفلبين على المذابح التى يقتل فيها المسلمون فى المدارس والمساجد والشوارع .

● تعقد الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى غرة شعبان ١٣٩١ هـ.

● قام وفد من جامعة كابول بأفغانستان بزيارة علمية الى رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بهدف التبادل الثقافى الاسلامى بين الهيئتين الاسلاميتين .

● أنشأت وزارة الدفاع والطيران ادارة للشئون الدينية تشرف على التثقيف الدينى لموظفى الوزارة .

الأردن : قامت اسرائيل بتفريغ عدة معسكـــرات للاجئين الفلسطينيين من قطـــاع غـــزة وطـــردتهم الى أماكن متفرقة من الضفة الغربية لنهر الأردن .

● وسعت اسرائيل نطاق الحفريات فى ساحة المسجد الاقصى حتى أصبحت تهدد المسجد بالانهيار .

العــــراق : أجرى مسئولون جزائريون مباحثات فى العراق بهدف أن يزيد العراق من مساهمته فى حملة التعريب فى الجزائر ويزيد عدد مدرسى العربية والدين العراقيين فى الجزائر .

السودان : قدم السودان حوالى (٧) آلاف جنيه استرلينى الى تشاد لمساعدتها فى تعليم اللغة العربية كما سيقدم منحة دراسية الى عشرين طالبا من تشاد .

ليبيــــا : صرح العقيد معمر القذافى بأن الاسلام رسالة حضارة كاملة لهذا العصر ولكل عصر وان مشكلة المسلمين فى الاسلام انما هى فى مستوى فهم المسلمين للاسلام .

● أنشأ مجلس الثورة الليبى هيئة للدعوة الاسلامية تكون مهمتها العمل الجاد على نشر الدعـــوة الاسلامية وتفتح لها فروعا فى الدول الاسلامية .

تونس : أقامت تونس — خلال الصيف الماضى — عدة دور للمحافظة على القرآن الكـــريم فى مناطق العاصمة .

● أجريت فى تونس مباحثات ثقافية بينها وبين المغرب شملت مجالات الثقافة والتربية ووسائل تدعيمها بين البلدين .

البحرين : أعلنت البحرين استقلالها دولة مستقلة ويرأس الحكم فيها أمير دولة البحرين وأصبحت عضوا فى هيئة الامم المتحدة .

قطـــر : أعلنت قطر استقلالها وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

باكستان : واصلت باكستان جهودها لحل مشكلة اللاجئين من باكستان الى الهند إبان الفتنة الأخيرة بين شطرى البلاد الشرقى والغربى .

● صدر فى باكستان الكتاب الأول من ترجمة صحيح مسلم باللغة الانجليزية وقام بالترجمة السيد عبد الحميد صديقى والناشر أكاديمية أهل الحديث بلاهور .

الفلبين : أعلن السناتور الفلبينى المسلم مامنتال تامانو — يشغل أعلى منصب يشغله مسلم — أن المسلمين فى الفيلبين لم تعد لهم أراض يعيشون عليها وسيضطرون لشن حرب مقدسة دفاعا عن أنفسهم .

ماليزيـــا : أعلن تنكو عبد الرحمن أنه سيتقدم بمقترحات عملية لحل مشكلة اللاجئين بين الهنـــد وباكستان .

أخبـــــار متفرقـــة

جنوب أفريقيا : تقوم منظمة الجهاد الاسلامية بجمع التبرعات لانشاء مركز اسلامى فى مدينة مانيزج حيث يبلغ عدد المسلمين فيها (٦٠٠٠) مسلم ليس لهم أى مؤسسة تعنى بشئونهم .

أسبانيـــا : يعقد فى مستهل شعبان مؤتمر ثقافى اسلامى فى مدريد يشترك فيه (٢٤) دولة اسلامية .

« الى راغبى الاشــــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا‍ه عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلم الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : **مكتبة مكة** — السيد عوض با عامر — ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت